الدور السوفيتي في حرب أكتوبر ١٩٧٣

م٠م قيس عدنان عودة م٠م فهمي احمد فرحان
قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الانبار

المقدمة

كانت حرب أكتوبر حداً فاصلاً في السياسة الدولية ، فرغم أن الاشتباكات استمرت لثلاثة أسابيع فقط ، إلا إن الحرب أثرت بعمق على مجرى النزاع العربي الإسرائيلي وقلبت موازين القوى في الشرق الأوسط ، وأفسدت العلاقة بين واشنطن وموسكو ، وكرست وضع الاتحاد السوفيتي كقوة دولية مؤثرة إذ انه – ولأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية – يتدخل في نزاع محلي بصورة مكثفة وكبيرة ولصالح دولة غير شيوعية ، ويتخذ من الخطوات ما من شانها تصعيد النزاع ، وتوجيه ضربه خطيرة لسياسة الوفاق التي حرصت القوى العظمى على رعايتها في السنوات التي سبقت حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

لقد تم توثيق السياسة المعروفة بالوفاق ، والتي ازدهرت بموجبها العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، في عدة اتفاقيات تم توقيعها في مطلع السبعينات في قمة موسكو في أيار ١٩٧٢ ، وفي قمة سان كليمنتي في حزيران ١٩٧٣ ، فقد اتفقت الدولتان رسميا على تحديد دورهما في العالم . واعترف الجانبان أن قوتهما تلقي عليهما مسؤوليات خاصة واستثنائية ، وان واجب تفادي الأزمات التي تهدد السلام العالمي وضبطها ، يقع على عاتق الدولتين . وقد عُدت المساواة التي أشار إليها الاتفاق نصراً كبيراً للاتحاد السوفيتي الذي كان لا يزال حتى ذلك الحين القوة الثانية في العالم .

مع تسارع العلاقة المتميزة بين موسكو وواشنطن ، جاءت حرب أكتوبر لتكون نذيرا بالتدهور المطرد ، ثم الانهيار التام لسياسة الوفاق في المدة ما بين ١٩٧٣ – ١٩٨٠ .

النـزاع العربـي "الإسـرائيلي "وحـرب أكتوبر ١٩٧٣ :

إن جوهر النزاع العربي "الإسرائيلي" مألوف للكثيرين بحيث لا يتطلب إلا عرضاً موجزا . ففي تشرين الثاني ١٩٤٧ جرى التصويت في الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني ، بين العرب واليهود ، ولقد أدت المعارضة العربية للتقسيم إلى اشتباكات واسعة النطاق بين السكان العرب واليهود في فلسطين . وفي ١٥ أيار ١٩٤٨ ، وبعد يوم واحد من انقضاء الانتداب البريطاني ، أُعلن عن قيام "دولة إسرائيل" ، وتحول النزاع إلى حرب إقليمية بين "إسرائيل" والدول العربية ، انتهت بهدنة مريرة بين أطراف أقسمت على العداء تخللتها فترات قصيرة من الاشتباكات مثل حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ١٩٦٩ – ١٩٧٠ ، ومن ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وقد تميزت جميعها بحدة المعارك وقصرها وبالاتفاق الدولي على وقف إطلاق النار .

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان هدف الدول العربية هو إنهاء "إسرائيل" كدولة سياسية ، إلا انه بعد الانتصار الساحق لإسرائيل واحتلالها سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان اضطر العرب إلى تحجيم نضالهم والاكتفاء بمهمة استرجاع الأراضي العربية المحتلة ، فباشر العرب ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ عدة استراتيجيات لاستعادة الأراضي المحتلة – ما عدا الحرب – ولكن لم يتحقق أي تقدم [١] ، مما زاد من الضغوط للجوء إلى الحرب لعلها تعيد الوضع إلى حدود ما قبل حرب حزيران سواء بنصر عسكري أو بضغط دولي ينشأ عن تحريك الوضع في المنطقة، بعد أن أرادت "إسرائيل" وأمريكا تجميد الوضع ، ليحقق عامل الزمن أقصى درجات الفائدة "لإسرائيل" [٢] . وهكذا كانت حرب أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٣ .

بدأت الحرب في الساعة الواحدة وخمس وخمسين دقيقة من بعد ظهر يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ حين قامت ٣٠٠ طائرة مصرية وسورية بغارة مفاجئة على المواقع "الإسرائيلية "في سيناء والجولان ، وفتحت أكثر من ألف مدفعية ميدان نيرانها على طول جبهات القتال ، واندفعت القوات المصرية لتحطيم خط الدفاع" الإسرائيلي" شرقي القناة (خط بارليف) في بضعة ساعات ، ونجحت القوات المصرية خلال ثلاثة أيام في الزحف لمسافة ١٢ – ١٥ كم على الامتداد الشرقي لقناة السويس ، غير أنها قامت في المدة من ٩ – ١٣تشرين الأول (أكتوبر) بوقفة تعبوية أدت إلى هدوء نسبي على الجبهة المصرية ، وحسب الخطة المصرية السورية المشتركة كان ينبغي على القوات المصرية الاستمرار في الزحف للسيطرة على ممرات المتلا وجدي على عمق ٥٠ كم تقريبا شرق القناة ، ثم تطوير الهجوم بعد ذلك شرقا حسب تحسن ظروف القتال ، لكن القيادة المصرية – التي كانت تشهد بعض الخلافات في الرؤى العسكرية – اخفت نيتها عن سوريا بالتوقف على عمق حوالي ١٢ كم فقط ، لأنها ترى إن شبكة الحماية الصاروخية المضادة للطائرات لا تكفي أكثر من هذا المدى لتغطية تقدم القوات المصرية[٣] .

ISSN 1995-8463

على الجبهة السورية حقق الهجوم السوري نجاحات أولية سريعة فاخترق خط الدفاع "الإسرائيلي" بعمق ٢٠ كم داخل هضبة الجولان وجرت معارك ضارية غير أن تفوق القوات الجوية الإسرائيلية ساعد القوات البرية على صد الهجوم السوري وتحولت القوات "الإسرائيلية" إلى الهجوم المضاد يوم ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ، وفي اليوم التالي يوم ٩ تشرين الأول (أكتوبر) استعادت "إسرائيل" ما فقدته في الجولان ، وفي الحادي عشر من تشرين الأول(أكتوبر) حاولت القيادة "الإسرائيلية" العليا أن توجه هجومها المضاد في الجولان إلى هجوم كاسح ضد سوريا بهدف إخراج دمشق من الحرب قبل أن تستفيد من الإمدادات السوفيتية ولتتفرغ بكامل قوتها للجبهة المصرية ، غير إن هذه الإستراتيجية لم تنجح إلا جزئيا ،إذ صمد الجيش السوري - الذي دعمته فصائل عراقية وأردنية – ببسالة ولم يتزحزح من موقعه إلا قليلا وكبد القوات الإسرائيلية ثمنا باهظا ، وفي ١٣تشرين الأول (أكتوبر) قررت "إسرائيل" إيقاف الهجوم بعد أن دفعت بخط المواجهة إلى عشرة أميال شمال موقعه قبل الحرب ، ومنذ ذلك الحين وحتى نهاية الحرب هدأت حرب الجولان نسبياً [٤] .

وتحت ضغط الهجوم "الإسرائيلي" العنيف أرسلت القيادة السورية احد كبار الضباط إلى القاهرة كي يناشد المصريين أن يشنوا هجوما على الفور لتخفيف الضغط على الجبهة السورية[٥] ، فاستأنفت القوات المصرية هجومها في يوم ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ونتجت عنه أضخم معارك الدبابات في التاريخ ومنيت فيه القوات المصرية بخسائر جسيمة ، وفي اليوم التالي وضع الجيش "الإسرائيلي" موضع التنفيذ خطة جريئة تستهدف استعادة زمام المبادرة في الحرب ، إذ استغل ثغرة صغيرة بين الجيشين المصريين الثاني والثالث (ثغرة الدفرسوار) تسللت عبرها قوات "إسرائيلية" إلى القناة حيث عبرت إلى الضفة الغربية منها ، وراحت القوات "الإسرائيلية" تتحرك لمحاصرة الجيش الثالث المصري عن طريق قطع طريق القاهرة – الإسماعيلية في الشمال وطريق القاهرة السويس في الجنوب[٦] .

في ليلة ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) اصدر مجلس الأمن الدولي قراراً بوقف إطلاق النار ،وافقت عليه "إسرائيل" ومصر وسوريا ، فتوقفت العمليات العسكرية ، لكن ليس لفترة طويلة ، حيث خرقت "إسرائيل" قرار وقف إطلاق النار بعد اقل من نصف يوم من بدايته ، وصدر قرار جديد من مجلس الأمن مساء يوم ٢٣تشرين الأول (أكتوبر) يثبت فيه القرار السابق ويطالب بتطبيقه فوراً والعودة إلى خطوط وقف إطلاق النار السابقة ، ومع ذلك استمرت "إسرائيل" في انتهاكها لقرارات مجلس الأمن ، مستغلة موقفها المتفوق لأقصى درجة ، فاستكملت تطويق قوات الجيش الثالث المصري تماماً قبل أن توقف "إسرائيل " عملياتها العسكرية غرب القناة يوم ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر)[٧] . ووافقت - تحت ضغط شديد من الولايات المتحدة – على تزويد الجيش الثالث بالماء والطعام [٨].

السياسة السوفيتية تجاه النزاع العربي "الإسرائيلي" :

في كانون الثاني ١٩٥٥ أصابت الجهود الأميركية والغربية الرامية إلى إقامة حلف عسكري بين الأقطار الواقعة على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي بعض النجاح عندما وقع رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد المعاهدة العراقية التركية التي سبقت حلف بغداد ، وكان من شان هذه الإحداث أن تعزز من وجهة النظر السوفيتية الحاجة إلى رد قوي لمعاكسة احتمال ظهور كتله معادية للسوفييت في الشرق الأوسط ، فبدأت موسكو في محاولة منها لثني الدول العربية الأخرى عن الانضمام إلى الحلف الذي يرعاه الغرب في إبداء دعمها للتوجهات القومية والوحدوية والعربية بقيادة الرئيس المصري عبد الناصر (الذي كان يسعى إلى إقامة كتلة عربية موحدة معارضة للوجود الغربي في الشرق الأوسط) وذلك عبر إقامة علاقات وثيقة مع القاهرة ، وكي يكسب الاتحاد السوفيتي ثقة العرب قادة وشعوبا فقد بدأت موسكو بدعم الجانب العربي في الصراع مع "إسرائيل" [٩] .

لكن وجهة النظر السوفيتية حول الصراع العربي" الإسرائيلي " كانت تختلف عن وجهة النظر العربية على الأقل في نقطة واحدة جوهرية وهي أن الاتحاد السوفيتي يعترف "بإسرائيل" ، وعندما نشب النزاع العربي اليهودي الأول كانت موسكو تميل إلى جانب اليهود وقد سمحت بإرسال شحنة أسلحة تشيكية للهاغانا ، وأدانت بشدة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن للموقف العربي الذي وصفته بالمعادي "لإسرائيل" [١٠] ، وحين أعلنت "إسرائيل" عن قيام دولتها كان الاتحاد السوفيتي من أوائل الدول التي اعترفت بها [١١] ، ومع أن العلاقات السوفيتية "الإسرائيلية" لم تلبث ان فترت ، عندما بدأت موسكو بدعم الجانب العربي ضد "إسرائيل" ، ورغم الضغوط العربية ، فان الاتحاد السوفيتي لم يسحب اعترافه "بإسرائيل" ، وظل هذا الاعتراف قائماً حتى بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين بعد عدوان ١٩٦٧[١٢] .

إن تبني الاتحاد السوفيتي موقفاً وديًا تجاه "إسرائيل" ، وعندما حول دعمه إلى الدول العربية ، فان سياسته لم تحددها أية اعتبارات عاطفية أو ايدولوجية بقدر ما كان العامل الحاسم دوماً هو كيف يمكن للاتحاد السوفيتي أن يناور مناورة أفضل من اجل مركز أفضل في الصراع الدولي للهيمنة على مقدرات العالم [١٣] .

بعبارة أخرى ، فان التأييد السوفيتي للدولة اليهودية في فلسطين لم يكن راجعاً إلى كون الاتحاد السوفيتي قد استهوته الصهيونية ، بل من تصورهم لإمكانية توظيفها كأداة للتغلغل والانتشار في الجزء العربي من الشرق الأوسط الذي لم يكن للشيوعية أدنى فرصة في الوصول إليه مباشرة بسبب تبعيته السياسية والعسكرية الكاملة للغرب آنذاك [١٤] ، كذلك عندما قرر السوفييت تقليص علاقاتهم مع إسرائيل وبدأت موسكو تنظر لحركة القومية العربية كمدخل أفضل لاختراق الشرق الأوسط ، لم يكن ذلك لان السوفييت أصبحوا موالين للعرب ، بل لان ذلك من وجهة نظرهم ما تتطلبه المصلحة السوفيتية الذاتية [١٥] ، وهنا قد يطرح سؤال عندما بدأت موسكو بدعم الجانب العربي . هل أصبحت ترغب في زوال "إسرائيل" ؟

بالتأكيد سيكون الجواب كلا ؛ لان وجود "إسرائيل" على تلك الصورة المرفوضة من جانب العرب قد خلق التوتر والمشاكل التي أتاحت للسوفيت دخول المنطقة وعليه فان من مصلحته ضمان وجود "إسرائيل " [١٦]. إذا كانت موسكو لا ترغب بزوال "إسرائيل" فما هو حجم الدعم الذي يمكن أن تقدمه للعرب ؟

لم يكن للدعم السوفيتي أن يوفر للعرب قوة إستراتيجية هجومية شامله تمكنهم من توجيه ضربة مميتة "لإسرائيل" حرصا منه على بقائها [١٧]، ولتفادي مواجهة عسكرية شاملة (حرب إبادة) بين الطرفين يصبح معها تورط القوتين العظميين محتوماً [١٨] وهذا اختيار سياسي غير مرغوب فيه من قبل السوفييت[١٩] ، وكل ما كانت موسكو مستعدة لتقديمه للعرب هو العمل على تطوير قدرات دفاع وردع عربية على درجة من المصداقية تكون كفيلة بالتخفيف أكثر من المغريات العسكرية والإستراتيجية التي قد تجدها "إسرائيل" في مهاجمة الدول العربية ، ثم استخدام سياسات الدفاع والردع هذه متظافرة طبعاً مع محاولات الضغط على الغرب عبر الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية (النفط مثلاً) على أمل أن تكون جميعها ، بالتالي، نوعاً من إستراتيجية الضغط الشامل المطلوبة ضد "إسرائيل" بهدف حملها على تقديم تنازلات يكون من شانها تسهيل عملية الوصول إلى تسوية سياسية سلمية مقبولة للصراع في المنطقة[٢٠].

من خلال ما تقدم يمكن أن نستنتج أن السياسة السوفيتية كانت تفضل بوضوح نشوء وضع قائم طويل الأمد في المنطقة[٢١]، إما عبر تسوية سلمية شاملة يشارك فيها بنشاط[٢٢] ، أو عبر استمرار حالة اللاحرب - اللاسلم اذا ما تعذر عليه المشاركة في عملية تحقيق التسوية [٢٣].

هذه السياسة عكست إلى حد كبير محاولات موسكو للتوفيق ما بين مجموعتين من الأهداف ، كانتا تتلاقيان في بعض جوانبهما ، غير أنهما ظلتا بعيدتين عن التطابق أو التجانس ، وهي الأهداف العربية الخاصة من جهة وأهداف الاتحاد السوفيتي الذاتية من جهة أخرى ، وقد كان ذلك ربما العامل الرئيسي الكامن وراء هذه السمة البارزة التي ميزت السياسة السوفيتية طويلاً في الشرق الأوسط ، فقد انطوت هذه السياسة في اغلب الأحيان على نهج وسطي ودرجة منخفضة من أللالتزام البعيد عن الصدامية المباشرة ، وكان من الطبيعي أن تفشل مثل هذه السياسة في إرضاء أي من طرفي العلاقة ، فهي لم تؤدِ إلى قيام وضع عربي متفوق – بوجه "إسرائيل" – يسمح بتزويد موسكو بالنفوذ الاستراتيجي والسياسي الفعال الذي كانت تسعى إليه في المنطقة [٢٤].

هل كان الاتحاد السوفيتي راغباً في نشوب حرب أكتوبر ؟

لم تكن موسكو راغبة في نشوب حرب أكتوبر ؛ لأنها كانت أكثر اهتماماً بسياسة الوفاق الدولي في ذلك الوقت [٢٥]، فمما لا شك فيه أن اندلاع الحرب سيعرقل حتماً محاولات التقارب الأمريكي السوفيتي مهما كانت نتائجها ، فلو أن كفة الحرب رجحت لصالح العرب فان الولايات المتحدة الأمريكية لا محالة ستتدخل إلى جانب "إسرائيل" وستصبح احتمالات المواجهة بين القوتين الأعظم واردة ، ولو رجحت كفة الحرب لمصلحة "إسرائيل" ، وربما كانت موسكو ترجح ذلك ، فان العرب سيضغطون على الاتحاد السوفيتي للتدخل المباشر وسينحون عليه باللائمة إن لم يفعل ويحملونه مسؤولية خسرانهم الحرب ، فبعد هزيمة ١٩٦٧ أمكن للاتحاد السوفيتي الاحتفاظ بالود العربي عن طريق الدعم العاجل بالأسلحة والمجهودات الدبلوماسية ورغم أن تلك الحرب قد أسفرت عن تزايد الوجود السوفيتي في الشرق الأوسط ، فانه قد يكون من المستحيل أن يعيد التاريخ نفسه ، إذ أن آية هزيمة أخرى للعرب ستؤدي حتماً إلى طرد السوفيت من العالم العربي [٢٦].

لكن قد يذهب البعض إلى القول أن حرب أكتوبر مقبولة ومعد لها مسبقاً من لدن الاتحاد السوفيتي من خلال تقديم الأسلحة والوسائل الممكنة . صحيح أن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة القادرة والراغبة في تزويد العرب بكميات كافية وحديثة من السلاح تجعل الحرب ممكنه مع "إسرائيل" ، وكان بوسع موسكو أن تدعي ، وعن حق ، أنها ظلت منذ عام ١٩٦٧ تدعم العرب بلا تردد في سعيهم لاسترداد أراضيهم المحتلة .

لكن هذا لا يعني إن موسكو كانت تخطط لحرب أكتوبر أو حرضت عليها[٢٧] . فالسلاح الذي كانت موسكو تقدمه للعرب هو ثمن لوجودها في المنطقة ، بمعنى أن الوجود السوفيتي في المنطقة مرتبط أصلاً بكون الاتحاد السوفيتي مصدر للسلاح [٢٨] ، ولكي نقف على حقيقة هذا الأمر علينا العودة إلى يوم ٨ تموز ١٩٧٢ والذي أعلن فيه الرئيس المصري أنور السادات عن تأميم القواعد الجوية والمنشآت العسكرية الأخرى التي شيدها السوفيت في مصر في أعقاب عدوان حزيران وطرد آلاف الخبراء السوفييت في حركة مفاجئة هبطت بالعلاقات السوفيتية - المصرية إلى أدنى مستوى لها خلال عقدين من الزمان ، ودفع بالمراقبين الغربيين للاعتقاد بان الاتحاد السوفيتي لن يستعيد موقعه في الشرق الأوسط في المستقبل القريب ، لكن بعد سبعة أشهر من طرد الخبراء ، بدأت العلاقات المصرية السوفيتية بالتحسن[٢٩] ، ووقعت في شباط ١٩٧٣ صفقة أسلحة قال عنها السادات إنها اكبر صفقة للأسلحة أبرمت في "عهدي" أو عهد عبد الناصر[٣٠]، ولأول مرة بدأت الشحنات تصل بانتظام وبكميات كبيرة إلى مصر وسوريا وبشكل لم يسبق له مثيل[٣١] ، وفي مقابلة مع مجلة نيوزويك الأمريكية صرح السادات ، قائلا: " بأنه يحصل من السوفييت على كل ما يريده وأنه راض تماما " [٣٢].

لقد كان طرد الخبراء السوفييت منأورة تكتيكية من جانب السادات ، ونوعاً من المعالجة بالصدمة الدبلوماسية لإجبار موسكو على تقديم تنازلات أكثر ، بعد أن أرهقه التأخير المتعمد في إرسال الأسلحة ، وعدم الوفاء بالوعود ، وعدم استعداد موسكو لتوفير أنواع معينة من السلاح ، وكأن السادات كان يريد أن يقول للكرملين أن عليه أن يدفع ثمن وضعه المتميز في المنطقة ، بالمزيد من الأسلحة وبالمتطور منها ، أو يفقد ذلك الوضع ، واضطر الاتحاد السوفيتي إلى زيادة حجم التزامه لينقذ نفوذه في المنطقة

(٣٣). إذا كانت موسكو لا ترغب في نشوب حرب أكتوبر فهل كانت تملك القدرة على منع وقوعها ؟.

حاولت موسكو مراراً إقناع القادة العرب بالتخلي عن الخيار العسكري وحثهم على التذرع بالصبر حتى يتم التوصل إلى التسوية السلمية المنشودة (٣٤)، لكنها لم تنجح في ذلك ، فالحرب لم تعد قراراً سياسياً بقدر ما أصبحت مع غياب الحل السلمي ، مطلباً شعبياً لاستعادة الكرامة العربية التي فقدت عام ١٩٦٧ . فالرئيس المصري كان مجبراً على التحرك ذلك انه بدأ يواجه تصاعد الاستياء الداخلي وفقدان صبر شعب يشعر يومياً بالذل والهوان ، وفي دمشق كان وضع السلطة مماثلاً لوضعها في القاهرة (٣٥) . وحتى الرئيس السادات نفسه كتب عن قرار الحرب قائلا:" لقد كان محو عار ومهانة هزيمة ١٩٦٧ هو الأساس ، وكان تقديري أنني حتى لو دفنت مع أربعين ألف من قواتنا المسلحة ونحن نعبر القناة سيكون ذلك اشرف لنا ألف مرة من ان نقبل الإذلال وتلك المهانة" (٣٦) .

كما حاولت موسكو إقناع واشنطن بان تفرض على "إسرائيل" حلاً سياسياً متفقاً عليه ، كما حدث مثلاً عندما التقى الزعيم السوفيتي بريجنييف بالرئيس الأمريكي نيكسون في قمة سان كليمنتي في ٢٣ حزيران ١٩٧٣ ، فقد اقترح بريجنييف أن تنسحب "إسرائيل" إلى حدود ما قبل سنة ١٩٦٧ في مقابل إنهاء حالة الحرب على أن يتم السلام بعد مفاوضات مع الفلسطينيين ، لكن الجانب الأمريكي رفض ذلك المقترح الذي اعتبره منحازاً للعرب وربما مؤدياً الى تعزيز النفوذ السوفيتي في المنطقة (٣٧) . وهكذا ضاعت فرصة لتجنب الحرب .

حقيقة علم السوفييت بقرار الحرب :

في ٢٨ آب ١٩٧٣ زار السادات دمشق واجتمع بالأسد حيث اتفق القائدان على موعد ٦ تشرين الأول (أكتوبر)لإعلان الحرب ، وفي ١٠ أيلول اجتمع في القاهرة كلاً من الأسد والسادات والملك حسين لتنسيق جهودهم في مواجهة "إسرائيل" ، وبعد اقل من أسبوع من ذلك الاجتماع تبادل بريجنييف والسادات الرسائل حول الوضع الدولي ، وخلال الأيام العشرة التي سبقت إعلان الحرب التقى السفير السوفيتي في القاهرة ثلاث مرات بالرئيس المصري أنور السادات ، الأمر الذي دفع بعض المحللين إلى الاعتقاد بان توقيت هذه الاتصالات يدل على تواطؤ السوفيت مع العرب حول قرار الحرب (٣٨)، ولكن ذلك يبدو غير محتمل فلقد تمت الاتصالات بمبادرة من السادات والذي كان يسعى للحصول على تأكيدات بان السوفييت سيدعمونه في حالة نشوب الحرب (٣٩).

وطبقاً لما رواه السادات وأكده السفير السوفيتي في القاهرة فلاديمير فينوغرادوف ، فان موسكو لم تخطر بان ثمة عمليات عسكرية وشيكة الحدوث إلا في ٣تشرين الأول (أكتوبر)(٤٠)، ولم يحط السوفييت بالتفاصيل إلا في ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ففي مذكراته يروي السادات بأنه قد اجتمع في يوم ٣ تشرين الأول (أكتوبر) وبالاتفاق مع الرئيس الأسد بالسفير السوفيتي في القاهرة وأبلغه بقرار مصر وسوريا ببدء العمليات العسكرية ضد "إسرائيل" وعندما سأله السفير عن موعد القتال أجاب السادات بأننا لم نتفق بعد على موعد بدء الحرب ولكنه في حقيقة الأمر كان قد اتفق مع الأسد ليجتمع مع السفير السوفيتي في اليوم اللاحق أي في يوم ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ويخبره بالموعد ؛ لأن علاقات السادات بالسوفييت كانت سيئة كما يؤكد السادات ذلك (٤١) .

من جهته كشف السفير السوفيتي في القاهرة فلاديمر فينوغرادوف في مذكراته أن السادات ابلغه رسمياً بالتاريخ المحدد لبدء العمليات العسكرية قبل أربع ساعات فقط من بدايتها يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ويضيف السفير قائلاً : علاوة على ذلك كانت معلومات السادات هذه مائعة وغير محددة حيث قال لنا إن الاستفزازات "الإسرائيلية" تتزايد ويمكن توقع أحداث (٤٢).

لكن من المؤكد أن الكرملين قد اكتشف في وقت مبكر بان العرب يعدون للهجوم بناءً على تقارير الخبراء السوفييت في مصر وسوريا (٤٣) ،ولاشك أن الاتحاد السوفيتي قد أكدت له أقماره الصناعية بان هناك استعدادات غير عادية تتم على الجبهتين المصرية والسورية مما يؤكد تقارير الخبراء من رجاله (٤٤)، لكن السوفييت على حد قول هيكل كانوا يفضلون عدم الإلمام بالتفاصيل أو توقيت الهجوم (٤٥).

أما الاستخبارات الأمريكية "والإسرائيلية" فقد عجزت عن استنتاج قرار الحرب ؛ لأنها كانت تفتقر للمعلومات حول النيات العربية ، كما كانت تعتقد أن القاهرة ودمشق ليستا مستعدتين بعد للحرب ، وطوال الصيف كانت أجهزة الإعلام السوفيتية تحذر بان الاستفزازات "الإسرائيلية" تدفع بالشرق الأوسط إلى حافة الحرب ، وبان التوتر في المنطقة يتصاعد لدرجة خطيرة(٤٦) .

إجلاء الرعايا السوفييت :

بعد أن أُبلغ الاتحاد السوفيتي رسمياً بتوقيت الهجوم المصري السوري على إسرائيل وجه الاتحاد السوفيتي سفيره في القاهرة لإبلاغ السادات قرار موسكو بإخلاء الرعايا السوفييت من مصر وطلب منه التدخل شخصياً لتسهيل أمر سفرهم (٤٧)، وافق السادات لكنه ظل منزعجاً لمعنى الإجلاء السوفيتي وطافت في ذهنه الشكوك بان موسكو ربما لا تقدم له الدعم الذي يتوقعه(٤٨) .

في ليلة ٥/٤ تشرين الأول (أكتوبر) وصلت إحدى عشرة طائرة ركاب ضخمة إلى مطار القاهرة ومطار دمشق لإجلاء الخبراء السوفيت الذين ما زالوا يعملون في مصر وسوريا ، وقبل منتصف نهار الجمعة ٥ أكتوبر كان الاتحاد السوفيتي قد أخلى جميع من يريد إخلاءهم من الخبراء والعائلات(٤٩) ، وقد رصد "الإسرائيليون" وصول الطائرات وفهموا غايته ، لكن تفسيرهم له جرى على انه حلقة من حلقات سوء الفهم بين العرب وأصدقائهم السوفييت (٥٠) .

إن إجلاء الرعايا السوفييت يظل قضية محيرة لم نجد لها التفسير المقنع ، فالقول بان الاتحاد السوفيتي أراد أن يتخلى مسبقاً من أية مسؤولية تترتب على هذه الحرب وانه قد اخلي الرعايا السوفييت حرصاً على حياتهم ، قولاً غير مقنع لسببين ، أولا: إن الإخلاء لم يكن شاملاً فقد بقي عدد

ليس بالقليل من الخبراء السوفييت دون إخلاء ، وثانيا: أن ارتباط الاتحاد السوفيتي بالحرب ونتائجها هو حقيقة تفرضها الإستراتيجية العالمية وسواء تواجد بإفراد ، أم لا ، فانه بالتأكيد سيتأثر بنتيجة المعركة هزيمة كانت أم نصراً سواء أعلن عن ذلك أم لم يعلن[٥١] .

إن إحدى التفسيرات المرجحة ، هو أن الاتحاد السوفيتي أراد أن يمارس ضغطاً على مصر وسوريا لمراجعة قرار الحرب ولكن بصورة تترك الباب مفتوحاً لدعمهما عسكرياً في حالة الحرب[٥٢] .

اندلاع المعارك وموقف السوفييت منها:

بعد ست ساعات من اندلاع المعارك طلب السفير السوفيتي في القاهرة فلاديمير فينوغرادوف اجتماعاً عاجلاً بالرئيس المصري أنور السادات ، وتم الاجتماع في الساعة الثامنة من مساء يوم ٦ تشرين الأول (أكتوبر)[٥٣]، وقد هنأ السفير السوفيتي الرئيس السادات بالعبور الناجح والسريع للقناة[٥٤] ، وابلغه أن سوريا قد طلبت من الاتحاد السوفيتي الحصول على قرار بوقف إطلاق النار من مجلس الأمن خلال ثمان وأربعين ساعة من بدء المعارك[٥٥] .

دهش الرئيس السادات حين سمع ذلك ، ثم قال محتجًا أن من المستحيل عليه أن يتصور وقف أطلاق النار بينما خمس فرق مصرية تعبر القناة إلى سيناء ، وقال أيضاً نحن نسعى إلى تحقيق السلام لكن هذا السلام لن يتحقق قبل أن يخرج أخر جندي إسرائيلي من سيناء[٥٦] . فرد السفير قائلاً إن دمشق شريك معكم في المعركة "وأنا أبلغك هذا الكلام رسمياً من الحكومة السوفيتية "[٥٧] .

بعد انتهاء الاجتماع أرسل السادات برقية بالشفرة إلى الرئيس السوري حافظ الأسد حول ما ابلغه إياه السوفييت ، وقد رد الأسد بأنه لم يتطرق لأمر وقف إطلاق النار مع السوفييت[٥٨]

في مساء يوم ٧ تشرين الأول (أكتوبر) طلب السفير السوفيتي في القاهرة مرة أخرى مقابلة السادات والذي ابلغه بإنكار الأسد ، إلا أن السفير اخبره بأنه تلقى رسالة ثانية من موسكو تفيد بان سوريا كررت طلبها بوقف إطلاق النار وغضب السادات واخطر السفير بان يعتبر هذا الأمر منتهيا[٥٩] . كيف حصل هذا التشويش ؟

يبدو أن الأمر كان محاولة مرتبة من قبل الاتحاد السوفيتي لإقناع مصر وسوريا لوقف إطلاق النار في وقت مبكر ؛ لأنهم كانوا يريدون الحفاظ على سياسة الوفاق الدولي وتجنب مواجهه محتملة مع الولايات المتحدة الأمريكية ؛ ولأنهم بلا شك قد حكموا بان أصدقاءهم العرب لن يتمكنوا طويلاً من المحافظة على زخم اندفاعهم المبكر ، فأرادوا تثبيت الانتصارات العربية الأولية قبل أن تتحول إلى هزيمة حادة[٦٠] . ومن المحتمل أن يكون الأسد قد أوحى قبل اندلاع الحرب إلى السفير السوفييتي في دمشق نور الدين محي الدينوف ، بأنه لن يكون من الضرر في شيء أن يقدم الاتحاد السوفيتي اقتراح بوقف إطلاق النار بعد بدء الاشتباكات ، ولعل تفكير الأسد اتجه في تلك اللحظة إلى انه إذا سار القتال لمصلحة سوريا فان تقديم مشروع قرار بوقف إطلاق النار لن يؤثر على موقفه وإذا سارت ضدها فسيكون الاقتراح مفيداً [٦١] . وهكذا بعث محي الدينوف هذه المعلومات إلى موسكو ، فاستغلتها للضغط على السادات لكنها لم تنجح في ذلك .ومهما يكن أصل هذه القضية الشائكة ، فإنها تشير بشكل واضح إلى أن موسكو سعت سعياً حثيثاً لمحاصرة الحرب خلال اليومين الأولين قبل أن تقرر أن دعماً سوفيتياً فعلياً للعرب قد أصبح من الضرورة بمكان .

فبمجرد أن فشلت محاولة السوفيت بإقناع العرب بوقف إطلاق النار ، وبدا أن العرب يقاتلون بكفاءة في ساحة المعارك تغيرت النظرة السوفيتية وقررت موسكو في ٨ تشرين الأول (أكتوبر) دعم الهجوم العربي _ على الأقل لدرجة معينة _ بدلا من السعي لإيقافه [٦٢] ويدعم هذا الاستنتاج حقيقة أن الاتحاد السوفيتي اصدر في ذلك اليوم بياناً رسمياً أعلن فيه أن المسؤول الوحيد عن الحرب هو "إسرائيل " وان الاتحاد السوفيتي يؤيد بحزم المطالب المشروعة للدول العربية حول تحرير كل الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧[٦٣] ، وفي مساء اليوم نفسه ابلغ السفير السوفيتي في القاهرة السادات بان الجسر الجوي سيبدأ قريباً في تزويده بالأسلحة ،وقد رحب السادات بذلك وابلغه بان ينقل إلى بريجنيف بان الأسلحة السوفيتية هي التي قد مكنته من عبور القناة ، وعندما سأل هيكل السادات عن رأيه في حقيقة موقف السوفيت قال : "انه يعتقد انه تبين لهم أن الحالة تمضي في اتجاه مُرض جداً ، وإنهم يرون في ذلك فرصتهم لاستعادة معظم أو كل هيبتهم في الشرق الأوسط وقال : " لا أظنهم سيضيعون هذه الفرصة " [٦٤] .وفي صبيحة يوم ٩ تشرين الأول (أكتوبر) بدأت موسكو في شن حملة دبلوماسية لتشجيع الدول العربية الأخرى على تقديم عون فعال لكل من مصر وسوريا ففي ذلك اليوم بعث بريجييف برسالتين إلى الملك حسين في عمان ، والى الرئيس بومدين في الجزائر ،يحثهما على دعم خطوط المواجهة ، كما قام السفراء السوفييت في عدد من الأقطار العربية بتسليم رسائل مماثلة ، ونقل عن السفير العراقي في موسكو قوله انه التقى بالرئيس بودجورني وأبدى تعجبه من أن الدول العربية لم تقدم حتى ألان كل ما تملكه لمصر وسوريا ، وتساءل عن السبب في حصول العراق أو الجزائر على كل هذا العتاد هل " لمحاربة الكويت أم المغرب " وإذا لم تقدمه اليوم لمساندة مصر وسوريا فمتى ستستخدمه[٦٥] .

غير أن حماس موسكو لاستمرار المعارك لم يدم طويلا ،فالضغط الشديد الذي تعرضت له الجبهة السورية نهار يوم ٩ تشرين الأول (أكتوبر) دفع السفير السوفيتي فينوغرادوف في مساء ذلك اليوم إلى طلب مقابلة عاجلة مع السادات وتمت المقابلة في مكتب الرئيس[٦٦] .

حمل فينوغرادوف رسالة من القيادة السوفيتية تضمنت إلحاحاً حول وقف إطلاق النار . إذ جاء فيها :

١ – إن الوقت قد حان لتثبيت النجاح الذي أمكن تحقيقه عن طريق وقف إطلاق النار ومواصلة النضال السياسي من اجل التسوية .

٢ – إن أوضاع الجبهة السورية قد تدهورت ، الأمر الذي دفع الرئيس السوري لطلب العمل على وقف إطلاق النار

ISSN 1995-8463

٣ – إن فشل الجيش السوري سوف يتيح "لإسرائيل" تركيز قواتها على جبهة سيناء وحدها ، مما يؤدي إلى تعقيد الوضع على الجبهة المصرية[٦٧].

رفض السادات الاستجابة لطلب السوفييت ، وأكد للسفير انه تلقى رسالة من الرئيس الأسد نفسه ويعرف وجهة نظره تمام المعرفة [٦٨] .

وفي اللقاء الذي جمع هيكل بالسفير السوفيتي في مقر السفارة الروسية في مساء اليوم نفسه يوم ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ، أوضح السفير أن بريجنييف اتصل به هاتفياً وانه يعتقد أن إسرائيل تشدد الضغط على سوريا في محاولة لإخراجها من المعركة وبعدها تركز كل قواتها ضد مصر . وقال " لقد كنت طوال اليوم في اجتماعات مستمرة مع ملحقينا العسكريين . وأقول لك الحق أنهم غير مرتاحين إلى النحو الذي يتطور إليه الموقف . ولست ادري السر في عدم تقدم قواتكم . لماذا لم تدعموا مكاسبكم وتبدأو الاندفاع إلى الممرات ؟ إن هذا ليس بالسبب المنطقي الذي يجب على جيشكم أن يفعله فقط ، ولكنه يساعد أيضا على تخفيف الضغط عن السوريين "[٦٩] . ثم عرض السفير خارطة عسكرية توضح مواقع القوات وتبين أن القوات "الإسرائيلية" المسؤولة عن حماية الممرات قد خرجت من مواقعها واشتركت في معركة الدبابات التي جرت يوم ٨ تشرين الأول (أكتوبر) وتكبدت خسائر كبيرة ، ونتيجة لذلك ، فان حجم القوات" الإسرائيلية" في الممرات أو على مشارف الطرق المؤدية إليها أو على نقاط الاقتراب منها قوات ضئيلة لا تتجاوز في هذه الساعة " مجموعة لواءين ، وهذه قوة بحسب تقدير القيادة السوفيتية ، يمكن أن تكتسحها القوات المصرية في غضون ساعتين أو ثلاث ، وتسيطر على أهم موقع استراتيجي في سيناء مما يسمح لها بأفضل الأوضاع رد أي هجوم "إسرائيلي " مضاد. وأكد السفير أن مصر لو عزمت على ذلك فلا بد من التنفيذ فوراً وبدون إبطاء [٧٠]. ثم قال : إن الوقت ضيق أمام العرب للحصول على النتائج فالزمن المحدد للقتال محدود ولا بد للعرب من ان يعدوا أنفسهم للمرحلة التالية وهي المرحلة السياسية . وقال: إن من بين الأسئلة التي وجهها إليه الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي ليونيد بريجنييف بالتلفون في ذلك اليوم " ما هي حدود أهدافهم المحدودة ؟" . كان السادات لا يزال يؤكد للسوفييت أن هذه حرب أهداف محدودة . وكان هيكل واحد من مصريين كثيرين شعروا بان هناك فرصة قد ضيعت : " كنت اعتقد دائما انه لا بد لنا من إن نتقدم نحو الممرات ونحتلها حتى لا تعرض قواتنا لهجمات العدو إذا تركناها في العراء بين القناة والممرات [٧١].

كوسجين في القاهرة لحث السادات على وقف إطلاق النار

بعد فشل الهجوم المصري يوم١٤ وحصول ثغرة الدفرسوار ليلة ١٥ |١٦ اجتمعت القيادة السوفيتية وقررت إرسال رئيس الوزراء اليكسي كوسجين إلى القاهرة والتي وصلها سرا مساء يوم ١٦ أكتوبر [٧٢].

استغرقت زيارة كوسجين أربعة أيام ، اجتمع فيها مع السادات أربع مرات ، وفي الأمسيات عادة ، بينما كان يقضي سحابة النهار بمبنى السفارة السوفيتية بالقاهرة [٧٣]، وكان غرض كوسجين الرئيسي هو إقناع السادات بان الوقت قد حان لوقف إطلاق النار ، وتشير المصادر أن اقتراح كوسجين لوقف إطلاق النار كان يدعو إلى وقف إطلاق نار مكاني وانسحاب "إسرائيل" إلى حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ مع تعديل طفيف لرسم الحدود [٧٤] .

رفض السادات هذا المقترح وبرر رفضه بالوضع العسكري العربي القابل للتحسن [٧٥] ، وفي مساء يوم ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) عرض كوسجين صوراً التقطت بالقمر الصناعي وأرسلت إليه من موسكو توضح مواقع القوات "الإسرائيلية" التي اخترقت الثغرة إلى غرب القناة ، وفيها يتضح أن رأس الجسر الذي أقامته "إسرائيل" خطير للغاية[٧٦] ، فتحدث السادات محاولا التهوين من شان الثغرة "الإسرائيلية" ومظهراً مقدرة القوات المصرية على التعامل معها وضربها ، ثم راح السادات يلوم الاتحاد السوفيتي على تقصيره في إمداد مصر بالسلاح واستشهد مرات بالفارق الكمي والنوعي بين جسر الإمداد الأمريكي "لإسرائيل" ، وبين جسر الإمداد السوفيتي لمصر . الأمر الذي أثار رئيس الوزراء السوفيتي واعتبره محاولة لإلقاء اللوم على موسكو فتحدث قائلا : "إننا قبل هذه كنا أصدقاء ، وبهذه الأزمة ونحن فيها معا ، فقد أصبحنا حلفاء . ولقد قدمنا إليكم كل ما طلبتموه منا . وحتى هذه اللحظة فان الجسر الجوي السوفيتي نقل إلى مصر أكثر من ستة آلاف طن من المعدات . وقد حاربتم بالمعدات السوفيتية في الأيام الأولى من القتال بطريقة أثبتت كفايتها وكفاءتها . وبعد ذلك فان إدارة المعركة كانت في أيديكم ونحن لم نقترب منها ، وحققتم انتصاراً مبدئياً شهد به العالم لكم ، ثم توقفتم بعد ذلك دون سبب مفهوم . وقد تركتم حلفاءكم على الجبهة الشمالية حتى يضربهم العدو ثم يتحول إليكم . ومع ذلك فانا لا أريد أن ادخل في تفاصيل إدارة مجهودكم الحربي لان ذلك شيء يخصكم . لكني اضطررت إلى إبداء ما أبديت من الملاحظات إزاء ما قلتموه . والاتحاد السوفيتي ليس على استعداد لقبول ما قلتموه . حين يتحقق انتصار فهذا لكم وحدكم ولا شأن لنا به ، وحين تقع مشكلة فنحن سبب المشكلة بتقصيرنا في إمداد السلاح اللازم وانتم لا دخل لكم بالموضوع "[٧٧] .

وفيما يتعلق بحجم القوات "الإسرائيلية" التي تمكنت من عبور الثغرة قال كوسجين إن السادات يحاول التقليل من شانها في حين أن هذه الصور لا تشير إلى قوات صغيره تمكنت من عبور الثغرة إلى الضفة الغربية بل تظهر انه حتى ساعة التقاطها ظهر اليوم كان "لإسرائيل" في الغرب أكثر من ٣٠٠ قطعة مدرعة ما بين دبابات وعربات ، وهذه قوة كبيرة على حد قول كوسجين وتعزيزها ما زال مستمراً ، ثم ختم كوسجين حديثه قائلا :" انتم أمام موقف خطير تفرض عليكم الظروف مواجهته ووقفه عند حده حتى تستطيعوا المحافظة على حجم انتصاراتكم المبدئية " [٧٨].

رغم ذلك رفض السادات الموافقة رسمياً على وقف إطلاق النار إلا انه وافق على قيام الاتحاد السوفيتي بمبادرة

في ذلك الاتجاه ، وعاد كوسجين إلى موسكو راضياً في الصباح الباكر من يوم ١٩ أكتوبر[٧٩] .

وخلال ذلك اليوم ازداد موقف مصر العسكري سوءاً ، وفي المساء استدعى السادات السفير السوفييتي وابلغه بان مصر تقبل رسمياً اقتراح وقف إطلاق النار في الأماكن الحالية [٨٠]. ومنذ ذلك الحين أصبحت دبلوماسية الحرب بأيدي القوى العظمى .

العلاقات السوفيتية - الأمريكية :

بعد بدء العمليات العسكرية وجهت القيادة السوفيتية رسالة إلى الرئيس الأمريكي نيكسون ووزير خارجيته الدكتور هنري كيسنجر عن طريق اناتولي دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن، وقد أبلغت إلى الخارجية الأميركية الساعة الثانية وعشر دقائق من يوم السادس من تشرين الأول (أكتوبر) وجاء فيها ما يلي: " لقد تلقى الزعماء السوفييت المعلومات المتعلقة ببدء العمليات القتالية في الشرق الأوسط في الوقت الذي علمت فيه الولايات المتحدة بذلك. إننا نأخذ كل ما يمكن من التدابير للاستيضاح عن حقيقة ما يجري في المنطقة، لأن المعلومات التي لدينا هي متناقضة. نحن نشارككم اهتمامكم بالحرب الجارية في الشرق الأوسط وندرس في الوقت الحاضر، كما أنتم تدرسون الخطوات الممكنة. وسنتصل بكم بعد قليل للتنسيق بين موقفينا " [٨١].وكان الرئيس نيكسون قد وجّه رسالة بعد بدء الحرب مباشرة إلى بريجنييف يستوضح فيها عما يجري في المنطقة، ويؤكد اهتمام الولايات المتحدة الأميركية بالحرب الجارية هناك، وأن أميركا تدرس الخطوات الممكنة لوقف القتال [٨٢].

في يوم ٧ تشرين الأول (أكتوبر) وهو الثاني لاندلاع القتال طالبت الولايات المتحدة الأمريكية بعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن[٨٣] ، واقترحت على السوفييت القيام بعمل مشترك سوفيتي – أمريكي لوضع ترتيبات فورية لوقف إطلاق النار[٨٤].

اعتبر بريجنيف هذه الخطوة سابقة لأوانها وطلب مهلة لتوضيح مجرى الإحداث [٨٥]، وعندما انعقد المجلس يوم ٨ تشرين الأول (أكتوبر) قدم المندوب الأمريكي جون سكالي اقتراحا يدعو إلى وقف إطلاق النار وعودة كل الإطراف إلى مواقع ما قبل ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ، الأمر الذي عارضه مندوب الاتحاد السوفيتي يعقوب ماليك والمندوبون العرب الذين طالبوا بتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ والداعي إلى انسحاب "إسرائيل" إلى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧،ولم تكن معارضة الاتحاد السوفيتي للاقتراح الأمريكي نابعة من ثقته في مقدرات العرب على كسب الحرب ، إذ انه كان يسعى في الوقت نفسه لإقناع السادات للقبول بمبادرة الاتحاد السوفيتي لوقف إطلاق النار[٨٦] ، إلا إن الانتصارات العربية كانت قد تعدت التوقعات المبدئية فأصبح من العسير على موسكو قبول الاقتراح الأمريكي والعرب في أوج فرصتهم ، وإذا وافقت موسكو على الاقتراح الأمريكي فإنها بالتأكيد سوف تعرض علاقاتها مع العرب للخطر[٨٧] .

بحلول يوم ١٠تشرين الأول (أكتوبر) ، قدرت الاستخبارات السوفيتية أن القوات العربية لن تستطيع تحقيق مكاسب على الأرض أكثر من ذلك ، وأصبحت القيادة السوفيتية حريصة على وقف إطلاق النار حتى يستطيع العرب الاحتفاظ بأي مكاسب حققوها على الأرض . فاتصل السفير السوفيتي في واشنطن اناتولي دوبرينين بوزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر تليفونيا يبلغه بمذكرة وردته من موسكو مؤداها أن الاتحاد السوفيتي لن يعترض على قرار يصدر من مجلس الأمن ويطالب الإطراف بوقف بسيط لإطلاق النار ، أي وقف إطلاق نار في المواقع الحالية ، وان يطالب مثل هذا القرار بالبدء في تسوية تفاوضية على أساس تحرير الأراضي العربية التي احتلتها "إسرائيل" عام ١٩٦٧[٨٨] .

ويسجل كيسنجر في مذكراته قائلا: إن المبادرة السوفيتية في سبيل وقف إطلاق النار جاءت في وقت حرج بالنسبة لإستراتيجية الإدارة الأمريكية . فلو تقدم الاتحاد السوفيتي باقتراح من هذا النوع ، وفي مثل هذه الظروف ، لتوصل إلى مساندة شبه أجماعية حتى من قبل حلفاء الولايات المتحدة الأوربيين . في وقت لم تستعد "إسرائيل" بعد مواقعها لما قبل الحرب ،الأمر الذي سترفضه الأخيرة ، ولو قبلت الحكومة الأمريكية بوجهات نظر الاتحاد السوفيتي وضغطت على إسرائيل لإجبارها على القبول بالقرار انف الذكر، لكانت انتهت الحرب بانتصار جلي للعرب المسلحين من قبل الاتحاد السوفيتي . ويصبح موقف الولايات المتحدة حول حل دبلوماسي بعد الحرب صعب التطبيق . وفي نفس الوقت فان النظرية التي كانت واشنطن من خلالها ترى نفسها ، أنها القوة العظمى الوحيدة ، القادرة على طرح حلول للقضية ، فان هذه النظرية تكون قد تبخرت ، ويضيف كيسنجر ." إن الأسلحة السوفيتية قادرة على كسب المعركة، كما إن الدبلوماسية السوفيتية قادرة على تثبيت المكاسب الحاصلة " ، وعليه كان على الإدارة الأمريكية تأجيل أي عمل دبلوماسي ، يدعو إلى وقف إطلاق (نار مكاني) إلى أن يحصل تغيير على الجبهة ، وحسب تقديرات الإدارة الأمريكية فان أفضل وضع عسكري مؤات للتحرك الدبلوماسي لا يمكن البدء به ، ما لم تسترجع "إسرائيل" جميع ما فقدته على الجبهتين ، وتتقدم قليلاً إلى الإمام ، وإذا ما تم ذلك ، " فسيظهر أن الخيار العسكري ، المستند إلى الأسلحة السوفيتية ، لم يكن إلا سراباً ،وان كل تقدم دبلوماسي يتوقف على مساندة أمريكية، وإذا لم يحصل ذلك ، يجب أن تجري مفاوضات ، على أساس تقدم "إسرائيلي" في إحدى الجبهتين ولو كانت مغلوبة في أحداهما " [٨٩].

لذلك عزم كيسنجر على قبول الاقتراح السوفيتي ، بصورة مبدئية ، للحيلولة دون أي هجوم دبلوماسي من قبل موسكو في الأمم المتحدة ، وفي محاولة منه لكسب الوقت دون إثارة دوبرينين ، اتصل به يقول له ، بان الإدارة في واشنطن عدت اقتراح وقف إطلاق النار ، اقتراحاً بناءً ، وسيتم تدارسه، وألح دوبرينين بان الوقت ضيق والضغوط شديدة . ووعده كيسنجر بأنه سيتصل به في اقرب وقت ، ومرت ساعات وقبل منتصف الليل بربع ساعة أحس كيسنجر انه لا يستطيع أن يترك دوبرينين معلقاً في الهواء .

دون رد على مقترحاته ولم يكن لديه حتى تلك الساعة أي رد ؛ لان هدفه كان لا يزال كسب الوقت ، فهداه تفكيره طبقاً لروايته هو ، أن يقول لدوبرينين شيئا – أي شيء - وهكذا فقد اتصل به تليفونيا قبل منتصف الليل ليقول له أن نائب الرئيس الأمريكي سبيرو اجنيو قد قدم استقالته وهذا الحادث الطارئ سيحول دون رغبة الرئيس في إعطائه رأيه بالاقتراح السوفيتي قبل ساعات عدة ، وبعد مدة وجيزة اتصل كيسنجر بالسفير "الإسرائيلي" في واشنطن سيمحا دينتز للاطلاع على وضع "إسرائيل" العام فراح دينتز يتحدث عن ضراوة القتال فقاطعه كيسنجر قائلاً : إن على "إسرائيل" الإسراع في هجومها المضاد والعودة إلى قواعدها قبل الحرب بأسرع ما يمكن ، أو أن تتجاوزها في إحدى الجبهتين ؛ لان الوقت ينفد وواشنطن لا تستطيع تأجيل تقديم الاقتراح إلى مجلس الأمن بوقف أطلاق النار أمداً طويلاً [٩٠] .

في صبيحة يوم ١١ تشرين الأول (أكتوبر) أكمل كيسنجر مماطلة دوبرينين واستنبط هذه المرة عذرا بوجوب اخذ رأي "إسرائيل" والأطراف الأخرى ، قبل تقديم اقتراح وقف إطلاق النار ، وفعلاً قامت الحكومة الأمريكية بمحادثات عاجلة مع "إسرائيل" ، ولكن ليس بشأن وقف إطلاق النار وإنما لإفساح المجال لها بترميم أوضاعها [٩١] .

بعد أن نجح كيسنجر في وقف الإجراءات السوفيتية بشان وقف إطلاق النار نحو ثمان وأربعين ساعة ، تلقى كيسنجر يوم ١٢تشرين الأول (أكتوبر) رسالة من رئيسة وزراء" إسرائيل" غولدا مائير توضح فيها استعدادها لقبول وقف إطلاق النار في الأماكن الحالية في ظرف ٢٤ ساعة من الآن ، فاتجه كيسنجر باهتمامه بعد ذلك إلى الأمم المتحدة ، وأعطى الإشارة للوفد الأمريكي بان يكثف اتصالاته ومشاوراته من اجل التوصل لمشروع قرار بوقف إطلاق النار[٩٢].

لم تكن الإدارة الأمريكية راغبة في عرض المشروع على مجلس الأمن خشية أن تشكك الحكومة المصرية في نواياها ، ومن المفارقات أن الاتحاد السوفيتي لم يكن يريد هو الأخر عرض المشروع على مجلس الأمن ، مخافة اتهامه مصرياً وعربياً بالتفريط[٩٣] ؛ لذلك اتفق الفريقان على أن تقوم بريطانيا بهذا الدور[٩٤] .

أصرت الحكومة البريطانية والتي كانت تخشى ردود فعل عربية على إجراء تدقيق ومراجعة مع الرئيس السادات قبل عرض المشروع على مجلس الأمن[٩٥]. فطلب السفير البريطاني في القاهرة موعداً فورياً مع السادات وتمت المقابلة صباح يوم ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) . شرح السفير البريطاني في هذه المقابلة للسادات تفاصيل الاتصالات الدائرة بين الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن للوصول إلى مشروع قرار ، وقد ركزوا في مشاوراتهم على الاتحاد السوفيتي باعتباره الطرف الذي يحتمل أن يعرف أكثر من غيره عن التفكير المصري ، وهنا قاطعه السادات قائلا: "إن الاتحاد السوفيتي لا يعرف شيئا عن أفكاري ، وهو لا يملك أن يتحدث باسمي ، وعندما تريدون أن تعرفوا وجهة نظري فلا بد أن تتصلوا بي أنا وليس بالاتحاد السوفيتي" [٩٦]، واستطرد السادات قائلاً: إنني لم أتعهد لموسكو بالموافقة على وقف إطلاق النار ، ولن اقبل بذلك إلا بعد إتمام المهام التي تتضمنها الخطة [٩٧].

وما أن اطلع كيسنجر على موقف السادات حتى اتصل بالسفير السوفيتي دوبرينين هاتفياً وابلغه أن الإدارة الأمريكية لن تبذل من الآن أية جهود في مجلس الأمن [٩٨] ، وستترك الأمور تسير كما هي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، منتظرين ما يصير إليه الوضع [٩٩].

توقفت المحادثات بين الطرفين من ١٤ إلى ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) وركزت كل دولة على تزويد حلفائها بكميات كبيرة من الأسلحة والمعدات العسكرية .

بعد عودة كوسجين يوم ١٩تشرين الأول (أكتوبر) إلى موسكو من القاهرة ، بعد أن قنع السادات بخطورة الموقف وضرورة وقف إطلاق النار فوراً ، اتصل السفير السوفيتي في واشنطن اناتولي دوبرينيين بوزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر وابلغه أن هناك مذكرة عاجلة من بريجنييف تحمل صياغة اقتراح سوفيتي لمشروع قرار لوقف إطلاق النار يتضمن :

١- دعوة لوقف إطلاق النار في المواقع الحالية .

٢- توجيه نداء لانسحاب إسرائيلي كامل من الأراضي العربية المحتلة طبقا لقرار ٢٤٢ وان يتم هذا الانسحاب في اقصر فترة ممكنة .

٣- توجيه نداء بالبدء في مشاورات مع الإطراف لتحقيق ما سبقت الإشارة إليه عملياً [١٠٠].

رد عليه كيسنجر بأنه يقبل النقطة (١) في المقترح السوفيتي وهي وقف إطلاق النار لكنه يرفض النقطة (٢) التي تدعوا إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة[١٠١] .

في وقت متأخر من ذلك اليوم حمل خط التلكس الأحمر في البيت الأبيض رسالة من بريجنييف تدعو كيسنجر لمشاورات عاجلة في موسكو ، واقترح أن يتواجد غداً السبت ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ، وأشار بريجنييف في مذكرته إلى أن الخطر يتفاقم في الشرق الأوسط وسينعكس سلباً على العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ،وعلينا أن نحسب منذ الآن حساب الساعات لا الأيام [١٠٢].

في الساعة الثانية من صباح يوم ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) غادر كيسنجر واشنطن متوجهاً إلى موسكو والتي وصلها في السابعة والنصف مساء يوم ٢٠ بتوقيت موسكو ، حيث استقبله وزير الخارجية غروميكو في مطار فونوكوفو وأصر على بدء المحادثات فوراً [١٠٣].

بدأت الجولة الأولى من المحادثات بين كيسنجر وبريجنييف في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء . تحدث فيها بريجنييف عن الحقوق المشروعة للعرب وعن جهودهم للتوصل إلى تسوية ثم زاد على ذلك بان الأزمة أصبحت تهدد بخطر صدام بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، وخلص بريجنييف من ذلك إلى ضرورة استصدار قرار سريع بوقف إطلاق النار وربطه بانسحاب إسرائيل إلى خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧ طبقا لقرار ٢٤٢ [١٠٤] .

رفض كيسنجر التصور السوفيتي هذا وقال صراحة انه لا يمكن ربط وقف إطلاق النار بالقرار ٢٤٢ ، وإنما

الممكن ربطه بمفاوضات مباشرة بين الإطراف على أساس القرار ٢٤٢ ، وان هذه هي الإشارة الوحيدة التي يمكن أن تقبل بها "إسرائيل" بالنسبة للقرار ٢٤٢ . فاحتدم النقاش بين الطرفين وطالت المناقشات وامتدت إلى ساعات الصباح الأولى ، وتقرر أن يعود الاثنان إلى الاجتماع في الكرملين الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢١ تشرين الأول (أكتوبر)[١٠٥] .

في صباح يوم الأحد وقبيل الاجتماع المقرر بين بريجنييف وكيسنجر تلقت موسكو برقية عاجلة من سفارتها في القاهرة تخطر بان السادات ورغبة منه في تسهيل عملية التفاوض قرر أن يفصل بين وقف إطلاق النار وبين طلب العودة إلى خطوط ١٩٦٧ ، وعندما بدأ الاجتماع فوجئ كيسنجر بتخلي بريجنييف عن إصراره على ربط قرار وقف إطلاق النار بمطالبة إسرائيل بالانسحاب إلى خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧ ، فأمكن بذلك التوصل إلى صيغة مشتركة لاقتراح بوقف إطلاق النار يتقدمان به معا لمجلس الأمن وتم إخطار مصر وسوريا "وإسرائيل" بتفاصيل الاقتراح [١٠٦]، وطار كيسنجر إلى تل أبيب لمناقشة الاقتراح مع رئيسة الوزراء "الإسرائيلي" غولدا مائير[١٠٧] .

في وقت متأخر من مساء يوم الأحد اجتمع مجلس الأمن ، وبعد مداولات قصيرة أجاز القرار ٣٣٨ ، بعيد منتصف الليل بقليل ، ويتكون القرار من ثلاث شعب ، إذ ينص على وقف إطلاق النار وكل العمليات العسكرية خلال اثنتي عشرة ساعة .وطالب الفريقين المتخاصمين بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل حذافيره [١٠٨]، ثم تبدأ المفاوضات بين كل الإطراف المعنية وتحت رعاية مناسبة (أي الرعاية الأمريكية - السوفيتية) للوصول إلى سلام عادل ودائم[١٠٩] .

إن حرص موسكو على إنقاذ المواقع المصرية والعمل على تفادي كارثة مماثلة لحرب حزيران ١٩٦٧ - والتي قد تؤدي إلى انهيار مواقعه التي استعادها بصعوبة – يفسر سرعة التوصل إلى القرار الذي تم التوقيع عليه في موسكو ، فكثير من الأمور تركت غامضة وكانت تحتاج إلى توضيح أكثر ، فمثلا القرار لم يوضح الشروط التي ترعى وقف إطلاق النار، وكذلك الظروف التي ستحيط بالمفاوضات . ولم يشر كذلك إلى قضية اسري الحرب . وفي المقابل تحدث القرار عن مفاوضات عربية "إسرائيلية" مباشرة ،مما يدل على رغبة سوفيتية في الحصول على موافقة "إسرائيل" على القرار ، ويشكل في الوقت نفسه تبدلا جديا في موقف موسكو التي ظلت أمينة حتى الآن للرفض العربي لمفاوضات مباشرة مع "إسرائيل" .وأخيراً أكد القرار - وهذا سبب يدعو موسكو للارتياح - ضرورة الجهود المشتركة للقوتين العظمتين ومسؤوليتهما المشتركة في الحل المقبل[١١٠] .

في الصباح الباكر من يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) وافق مجلس الوزراء "الإسرائيلي" على وقف إطلاق النار، بعدها بساعات قلائل أعلنت القاهرة موافقتها[١١١] ، أما دمشق فلم تعلن موافقتها إلا في اليوم التالي وبعد ضغط شديد من قبل السفير السوفييتي[١١٢] .

في الساعة السادسة وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) بتوقيت الشرق الأوسط وبعد اثنتي عشرة ساعة بالضبط من قرار مجلس الأمن ، أصبح قرار وقف إطلاق النار ساري المفعول .

حالة تأهب نووي

بعد توقف العمليات العسكرية بساعات قليلة خرقت "إسرائيل" قرار وقف إطلاق النار وقررت توسيع عملياتها العسكرية في الضفة الغربية لقناة السويس ، الأمر الذي أثار امتعاض القيادة السوفيتية ، فأرسل بريجنييف صباح يوم ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) وعبر الخط الساخن رسالة شديدة اللهجة إلى نيكسون لا تتسم بطابع دبلوماسي كلماتها كانت عنيفة بحق غدر إسرائيل وخرقها لقرار مجلس الأمن ، وتؤكد على ضرورة اتخاذ اشد الإجراءات حزماً وبدون تأخير مع "إسرائيل" لفرض احترام وقف إطلاق النار، ودعا إلى استصدار قرار جديد من مجلس الأمن يدين فيه الخرق الإسرائيلي ويطالب بوقفه فورا [١١٣]. وفي ذات اليوم رد نيكسون بان الولايات المتحدة تتحمل كامل المسؤولية عن وقف العمليات الحربية التام من قبل إسرائيل ، وجاء في رسالة نيكسون إلى بريجنييف " لقد حققنا وإياكم تسوية تاريخية ولن نسمح لأحد بان يفجرها ، [١١٤] ، وفي مساء اليوم نفسه ٢٣تشرين الأول (أكتوبر) اجتمع مجلس الأمن ،واصدر قراراً جديداً برقم ٣٣٩ يثبت فيه قرار وقف إطلاق النار الذي اتخذه في ٢٢تشرين الأول(أكتوبر) ويطالب بتطبيقه فورا والعودة إلى خطوط وقف إطلاق النار السابقة ، كما دعا القرار، السكرتير العام للأمم المتحدة إلى إرسال قوة مراقبة للإشراف على تنفيذ القرار ،[١١٥] ، غير أن الإحداث في ساحة المعارك سبقت الخطوات الدبلوماسية ، إذ استمر القتال لمصلحة "إسرائيل" ، ووجدت قوات الأمم المتحدة انه من المستحيل أن تجد لها مكاناً بين الجيشين المتحاربين . فرفعت موسكو من حدة لهجتها ، وأصدرت صباح يوم ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) بياناً رسمياً يحمل توقيع بريجنييف شخصياً ، كان في واقع الأمر إنذاراً ، فقد طالبت فيه "إسرائيل" بوقف إطلاق النار فورا وهددت بأخطر العواقب إذا لم تضع حداً لعدوانها[١١٦] .

أدركت الإدارة الأمريكية خطورة الموقف ، فاتصل كيسنجر بالسفير" الإسرائيلي" دينتز ملفتاً نظره إلى أن الإنذار السوفييتي يمثل تطوراً خطيراً خصوصاً وان المعلومات التي وصلت إليه تشير أن موسكو اتخذت جميع الإجراءات اللازمة لاستنفار قواتها وفرقها المحمولة جواً وتعزيز أسطولها في البحر الأبيض المتوسط ، وأشار كيسنحر أن صدور البيان باسم بريجنييف يحمل دلائل شؤم فذلك معناه أن القيادة السوفيتية وضعت هيبتها في الميزان ،وأضاف كيسنجر " أن الولايات المتحدة فعلت كل شيء من اجل "إسرائيل" حتى الآن ، ولكن لابد "الإسرائيل" أن تدرك أن هناك حدوداً في العلاقات الدولية يجب مراعاتها ، وان احد هذه الحدود هو عدم التسبب في إحراج أو المساس بهيبة إحدى القوتين الأعظم" ، ووجد كيسنجر انه مطالب بحركة سريعة للالتفاف بالمناورة حول الإنذار السوفييتي حتى لا تتحرج الأمور ويجد الجميع أنفسهم عند حافة

الهاوية ، فاتصل كيسنجر بدوبرينين وبادره قائلا: "يظهر أن الجنون التقليدي في الشرق الأوسط يمارس دوره مرة أخرى فكل طرف من الطرفين – المصريين "والإسرائيليين"- يزعم أن الطرف الأخر هو الذي كسر وقف إطلاق النار . لكن الولايات المتحدة اليوم واثقة من أن الجيش المصري هو الذي كسر وقف إطلاق النار أخر مرة ونحن نحاول أن نتأكد ، ونرجوكم أيضا أن تتأكدوا " ووعد دوبرينين بان يتصل بموسكو للحصول على تأكيد [١١٧].

يبدو أن بريجنييف لم يكن على استعداد للدخول إلى فخاخ كيسنجر ، فقد بعث برسالة إلى واشنطن موجهة إلى الرئيس نيكسون ، وبدت الرسالة نافذة الصبر جاء فيها :" ماذا يحدث ؟ إننا كلما توصلنا لاتفاق وتلقينا تأكيدات جازمة منكم بتنفيذها نرى هذا الخرق والتحدي لقرارات مجلس الأمن ، إننا بطبيعة الحال عندنا تساؤلات عن السر وراء ما يحدث ، وأريد أن أقولها صراحة أيها الرئيس إننا واثقون أنكم عندكم إمكانية التأثير على "إسرائيل" لوقف سلوكها العدواني ، ... إنني سأكون ممتنا لتلقي معلومات منكم بالخطوات المحددة التي ستتخذونها تجاه إسرائيل لكي تلتزم التزاماً فورياً وكاملاً بقراري مجلس الأمن في ٢٢ و ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) " [١١٨].

مع ذلك استمرت "إسرائيل" في عملياتها العسكرية ، وتمكنت من تطويق الجيش المصري الثالث تماماً ، وهنا اتصل السادات عصر يوم ٢٤ أكتوبر بكل من موسكو وواشنطن وطلب منهما إرسال قوات سوفيتية وأمريكية مشتركة للإشراف على وقف إطلاق النار[١١٩] ، كما طالب بعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن [١٢٠].

رحبت موسكو بطلب السادات [١٢١]، وأخطرت مندوبها الدائم في الأمم المتحدة جاكوب ماليك بتأييد أي مشروع قرار تقدمه مصر أو أي طرف آخر يدعو لإرسال قوات أمريكية سوفيتية إلى المنطقة[١٢٢].

ولعل هذه الخطوة المفاجئة من جانب الاتحاد السوفيتي كانت بمثابة اختبار لرد الفعل الأمريكي حيال إرسال قوات سوفيتية إلى المنطقة ، وربما كان الاتحاد السوفيتي راغباً بشدة في إرسال قوات صغيرة إلى مصر ، إلا انه كان متردداً بسبب جهلة برد الفعل الأمريكي ، فإرسال قوات سوفيتية رمزية كان سيلبي الطلبات العربية إلى المزيد من الدعم ويجبر إسرائيل على التفكير جدياً في جدوى استمرار عدوانها ويقوي موقف العرب التفاوضي . ولن يخسر الاتحاد السوفيتي أياً من هذه المزايا إذا ما تم الاتفاق على أن ترسل قوات أمريكية أيضاً ، إذ أن مخاطر التصعيد ستتلاشى وسيبرز الاتحاد السوفيتي كقوة كبرى مساوية للولايات المتحدة[١٢٣] .

غير أن واشنطن رفضت هذا الاقتراح [١٢٤]، وراح كيسنجر يتحرك بشكل محموم حيث اتصل بالسفير السوفييتي دوبرينين ورجاه عدم دفع الأمور إلى حافة الهاوية ، وابلغه أن الولايات المتحدة على استعداد لإرسال مراقبين من الأمم المتحدة إلى المنطقة ولكنها لن تسمح بإرسال قوات أمريكية سوفيتية إلى المنطقة ، وفي نفس الوقت بعث كيسنجر مذكرة إلى الرئيس السادات باسم نيكسون ، ليؤكد له رفضه إرسال قوات أمريكية سوفيتية إلى المنطقة ، وتضمنت الفقرة المتعلقة بهذا الخصوص " سنضطر حال وصول قوات سوفيتية إلى مقاومتها على الأراضي المصرية ذاتها " وجاء في المذكرة أيضاً : " اطلب إليك تقدير النتائج التي تتعرض لها بلادك في حال حدوث مجابهة عسكرية على أرضها بين القوتين العظميين "[١٢٥] ، كما اصدر كيسنجر تعليماته إلى المندوب الأمريكي الدائم في مجلس الأمن جون سكالي بأن يستعمل حق النقض الفيتو ضد أي مشروع قرار يقدم إلى مجلس الأمن يتضمن إرسال قوات إلى الشرق الأوسط تشترك فيها الدول ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن [١٢٦] .

في مساء يوم ٢٤تشرين الأول(أكتوبر) اجتمع مجلس الأمن حيث خاطبه وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات وطالب المجلس بدعوة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى إرسال قوات مشتركة للإشراف على وقف إطلاق النار [١٢٧]، وقد أيده المندوب السوفيتي ماليك الذي قال: انه في ضوء الاعتداءات "الإسرائيلية" المتكررة فان للطلب المصري ما يبرره[١٢٨] . فاعترض المندوب الأمريكي سكالي وتحدث أمام مجلس الأمن قائلاً : أن تورط القوات المسلحة للدول الكبرى لن يخدم قضية السلام في الشرق الأوسط [١٢٩].

مع استمرار مناقشات مجلس الأمن إلى وقت متأخر من الليل بدأت تتجمع في واشنطن دلائل على أن الاتحاد السوفيتي قد يتخذ خطوات عسكرية منفرداً ، ففي الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت واشنطن ، الرابعة وخمس وعشرين دقيقة صباحاً بتوقيت موسكو ، اتصل دوبرينين بكيسنجر وابلغه برسالة عاجلة من بريجنييف إلى نيكسون ، وقد كلف نظراً لدقة الموقف وتسارع التطورات بان يقرأها له على التلفون ، وكادت هذه الرسالة أن تفجر أزمة عالمية إذ بدأت الرسالة بالتنويه بان "إسرائيل" مستمرة في انتهاك وقف إطلاق النار وبذلك فإنها تفرض تحديا على كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وشدد بريجنييف على تنفيذ قرار وقف إطلاق النار دون إبطاء ثم جاء الإنذار " إنني أقول بكل صراحة ، لو رأيتم انه يستحيل عليكم أن تتخذوا هذه الخطوة بالاشتراك معنا فإننا سنواجه هذا الموقف بالضرورة المطلوبة ، وسنقوم باتخاذ قرارات أحادية الجانب (بمفردنا) . لن نسمح بان تتحكم "إسرائيل" في هذا الموقف " [١٣٠].

على وجه السرعة نقل كيسنجر الرسالة إلى نيكسون الذي أعلن انه فوضه في إصدار الأمر بالتأهب العسكري إذا كان ضروريا وعند ذاك عقد كيسنجر جلسة لمجلس الأمن القومي[١٣١] .

لم يكن ممكناً أن يكون ثمة شك في أن الموقف خطير ، فلم يكن احد يعرف ما الذي ينوي الاتحاد السوفييتي أن يفعله ، فطلب المساعدة من جانب السادات يفرض على موسكو رداً فورياً ، فإما أن تدعم موسكو حليفها أو تظهر ، كما في عدوان ١٩٦٧ ، أن تحالفها يفقد معناه عندما يتعرض العرب للخطر ، والتخلي عن مصر في ١٩٧٣ يعني أن موسكو ليس في مقدورها تأمين الحماية لها خلال الأزمات ، وان الولايات المتحدة هي التي تسيطر على المسرح الدولي[١٣٢] .

لقد كانت واشنطن تدرك الورطة المفروضة على السوفييت والضغوط التي يعملون تحت وطأتها ، فقد كانت هيبتهم كقوى كبرى على المحك ، وكان ذلك شيء يمكن لواشنطن أن تتفهمه ، ولكن هل لدى السوفييت القدرة على التدخل أياً كانت الدوافع ؟

لقد بدت الإجابة بالتحديد وعلى ضوء تقارير وكالة المخابرات الأمريكية حول التحركات العسكرية السوفيتية هي نعم ، فقد عادت طائرات النقل التي كانت تحمل الأسلحة إلى الشرق الأوسط جميعها إلى الاتحاد السوفيتي ويمكن استخدامها كحاملات للجنود [١٣٣]،وأفادت التقارير أن هناك على الأقل سبع فرق سوفيتية محمولة جواً قد تلقت تعليمات بالاستعداد للطيران إلى الشرق الأوسط [١٣٤] ، وان القوات السوفيتية في ألمانيا الشرقية قد وضعت في حالة الاستعداد القصوى [١٣٥]، كذلك كانت هناك سفينتا إنزال برمائيتان في شرق البحر المتوسط إلى جانب الأسطول السوفيتي هناك [١٣٦].

لم تكن تقارير المخابرات نهائية ولكنها أوضحت على الأقل أن الاتحاد السوفيتي أصبح في وضع يمكنه من نقل قواته على جناح السرعة إلى مصر ، ومما زاد الأمر تعقيداً أن بعض التقارير أفادت بان سفينة سوفيتية مشتبه في أمرها وصلت إلى ميناء الإسكندرية وكانت تلك السفينة قد أصدرت أثناء عبورها مضيق البسفور يوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) موجات إشعاعية نيوترونية توضح إمكانية وجود أسلحة نووية [١٣٧].

أما كيسنجر وسائر المشتركين في اجتماع مجلس الأمن القومي فقد اتفقوا على أن أفضل الردود هو وضع القوات الأمريكية في حالة تأهب ، وفي الساعة الحادية عشر والدقيقة الخامسة والثلاثين مساء صدرت الأوامر برفع درجة الاستعداد في القوات الأمريكية إلى المستوى ٣ وهو يفوق درجات الاستعداد في الحالات السلمية بدرجة واحدة ، إلا انه كان شاملاً لكل القوات بما فيها القوات النووية [١٣٨]، وأعطيت الأوامر للفرقة ٨٢ المحمولة جواً بالاستعداد للتحرك في أي لحظة ، وطلب من حاملة الطائرات فرانكلين روزفلت المتواجدة في عرض السواحل الايطالية بالتوجه سريعاً إلى البحر المتوسط لتنظم إلى حاملة الطائرات اندبانداس في جنوب جزيرة كريت ، أما حاملة الطائرات جون كنيدي مع قوات التدخل السريع التي كانت ترافقها فقد تلقت أوامر باجتياز المحيط الأطلسي إلى البحر الأبيض المتوسط [١٣٩].

مع أن الرئيس الأمريكي نيكسون لم يشارك في مداولات مجلس الأمن القومي إلا انه صادق على كل الأوامر في الساعة الثالثة من صباح يوم٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ، [١٤٠] ولتأكيد معنى التأهب بعث نيكسون برسالة إلى بريجنييف توضح أن إرسال قوات سوفيتية إلى الشرق الأوسط سوف يعتبر انتهاكاً للمادة الثانية من اتفاق ٢٢ يونيو ١٩٧٣ لمنع الحرب النووية [١٤١].

وبينما كان العالم في مواجهة أزمة حقيقية يمكن أن تؤدي إلى مواجهة بين القوتين النوويتين الأعظم في العالم ، تلقت الخارجية الأمريكية مذكرة من الرئيس السادات تخطر بان الحكومة المصرية قررت سحب الطلب بتشكيل قوة أمريكية سوفيتية وتقبل رسمياً فكرة تشكيل قوة حفظ سلام دولية من الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن [١٤٢].

اعتبر كيسنجر هذه الرسالة نصراً للدبلوماسية الأمريكية في المواجهة ؛ لان ذلك يعني على حد قول كيسنجر انه حتى إذا كان الاتحاد السوفيتي يستعد لإرسال قوات إلى مصر فان هذه القوات لن تصل أبداً ؛ لأنها لا تحظى بموافقة البلد المضيف مصر ولا الأمم المتحدة ، وأضاف كيسنجر أن هذا يعني أن الرئيس السادات " قد وضع مصيره في يد الولايات المتحدة الأمريكية"[١٤٣] .

بعد ذلك تلقى كسينجر مكالمة تليفونية من السكرتير العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم ابلغه فيها أن السفير السوفييتي لدى الأمم المتحدة جاكوب ماليك جاء إلى لقائه قبل دقائق وابلغه انه لم يعد أمام الاتحاد السوفييتي إلا مسايرة الاقتراح المصري بإرسال قوات دولية [١٤٤] . فاستعاد بذلك مجلس الأمن المبادرة وأجاز القرار ٣٤٠ عصر يوم ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) وقد حظي بموافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ودعا القرار إلى تشكيل قوة طوارئ خاصة من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة باستثناء الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن[١٤٥] ، كما طالب القرار بعودة "إسرائيل" إلى خطوط وقف إطلاق النار ليوم ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر)[١٤٦] ، وقد أمكن لقوة الطوارئ أن تتمركز بين الجيشين ، واستمر وقف إطلاق النار هذه المرة رغم أن "إسرائيل" لم تتراجع عن مواقعها الجديدة .

هل كان الاتحاد السوفييتي مستعداً للتدخل العسكري منفرداً ؟ ربما كانت الإجابة عن هذا السؤال بالنفي[١٤٧] ، واغلب الظن أن الاتحاد السوفييتي قد وضع في حساباته أن الرسائل الدبلوماسية والخطوات العسكرية ستؤكد لواشنطن أهمية كبح جماح "إسرائيل" ، فمعروف أن موسكو لا تؤثر قط في القرار الإسرائيلي . من اجل ذلك ، كان على الاتحاد السوفييتي أن يضغط على الولايات المتحدة لتفرض وقف إطلاق النار على حليفها [١٤٨]، وهو الأمر الذي حققه إنذار بريجنييف . فقد نقلت واشنطن التهديد السوفييتي "لإسرائيل" وأكدت أنها لن تسمح بتدمير الجيش المصري الثالث تحت أي حال من الأحوال [١٤٩] .

لكن من غير المستبعد أن الاتحاد السوفييتي كان سيرسل قوات رمزية إلى الشرق الأوسط أن لم تعترض واشنطن وان لم يتوقف الضغط "الإسرائيلي" في الجبهة ، وسيكتسب الاتحاد السوفيتي بذلك ، صورة المنقذ التي ستغفر له تردده السابق[١٥٠] .

الجسر الجوي والمساعدات العسكرية الأخرى :

بدأ الجسر الجوي في نهاية يوم ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ووصلت أولى الطائرات إلى سوريا في ١٠تشرين الأول (أكتوبر) ، وقد كانت الإمدادات متواضعة في البداية ، وبحلول يوم ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) كان عدد الطائرات الناقلة قد تزايد بصورة هائلة ، وهذه حقيقة سجلتها أجهزة المراقبة الجوية في بلغراد وقبرص ، التي كانت تمر عبرها ثمانِ عشرة طائرة كل ساعة [١٥١]، وقد قامت طائرات انتينوف ١٢ وانتينوف

ISSN 1995-8463

٢٢ بالعبء الأكبر من عمليات النقل الجوي [١٥٢]، وقامت هذه الطائرات بـ ٩٣٠ رحلة ونقلت للعرب ١٥٠٠٠ طن من المعدات الحربية [١٥٣] ، جاء اغلبها من احتياطي حلف وارسو. وكانت الطائرات تقلع من كييف وبودابست ، ويبدو أن تركيا كانت تسمح لها بعبور أجوائها في إطار اتفاقية الطيران المدني بينها وبين الاتحاد السوفييتي ، وتشير بعض المصادر أن رومانيا لم تسمح بعبور أجوائها ، وان خط الطيران كان عبر يوغسلافيا اليونان قبرص [١٥٤].

لاشك أن الجسر الجوي السوفييتي يعد متواضعاً إذا قورن بالجسر الجوي الأمريكي "لإسرائيل" ، لقد نقل الأمريكيون خلال ٥٦٦ رحلة ٢٢٣٩٥ طناً من الإمدادات ، وقد قامت شركة العال "الإسرائيلية" بنقل ٥٥٠٠ طن أخرى وبذلك أصبح إجمالي الجسر الجوي الأمريكي إلى "إسرائيل" هو ٢٧٨٩٥ طناً [١٥٥].

إما الجسر البحري فقد بدأ من ميناء اوديسا وموانئ البحر الأسود الأخرى واشتركت فيه ثلاثون ناقلة [١٥٦] ، حملت ٨٠٠٠٠ طن من الأسلحة [١٥٧]. وقد أصيبت إحدى السفن السوفيتية بقذائف "إسرائيلية" في ميناء طرطوس السوري ، وقد أدت هذه الحادثة إلى إصدار وكالة تاس بياناً أنذرت فيه بمعاقبة "إسرائيل" ودعتها إلى احترام حرية الملاحة [١٥٨].

في البداية كان الغرض من الإمدادات هو تعويض سوريا عما فقدته من صواريخ سام ٦ والذخائر الأخرى [١٥٩]،إلا إن نطاق الإمدادات اتسع ليشمل الدبابات إذ تسلمت مصر ٢٥٠ دبابه على الأقل من الاتحاد السوفييتي و١٤٠ دباية من أخرى من تيتو ، وتلقت سوريا ٨٥٠ دبابة بما فيها ٧٠٠ من طراز تي ٦٢ وبعض طائرات الميج ٢١ ، وتذكر مصادر "إسرائيلية" أن مصر تسلمت بعض طائرات الميج ٢٥ أواخر الحرب إلا أنها لم تستعملها[١٦٠] .

دور الخبراء السوفييت :

عندما اندلعت الحرب كان في مصر وسوريا ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف خبير سوفييتي ، انضمت اليهم اعداد اخرى من الخبراء والفنيين خلال الحرب ، شاركوا جميعاً في العمليات غير القتالية فقد قام فنيون في القوات الجوية الروسية وبملابس مدنية بإعادة تجميع طائرات الميج ٢١ التي تم شحنها إلى سوريا عبر الجسر الجوي . كما قاد الروس الدبابات من ميناءي اللاذقية وطرطوس الى دمشق ، وشارك خبراء في المراقبة الجوية في تشغيل أجهزة الرادار في البلدين ،وانهمك الخبراء المهندسون في صيانة المعدات العسكرية التي أعطبت في المعارك ، وليس هناك دليل عن اشتراك قوات أو خبراء سوفييت في العمليات الحربية في خطوط المواجهة ، إلا أنهم شاركوا في عمليات ثانوية ، كمرافقة وحدات الدفاع الجوي السوري في كل مكان ما عدا خط النار ، وإدارة الدفاعات الجوية في دمشق واللاذقية[١٦١] . وتشير التقارير أن خبراء سوفيت شاركوا في إطلاق صاروخ سكود على القوات "الإسرائيلية" في القناة في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) [١٦٢].

لم يكن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الشيوعية الوحيدة التي دعمت العرب بالخبراء ، إذ شارك ما يقارب من ثلاثين طياراً من كوريا الشمالية في طلعات جوية دفاعية داخل الحدود المصرية[١٦٣] ، مما أتاح تفرغ الطيارين المصريين للغارات الهجومية .

كان لابد أن تحدث بعض الإصابات وسط الخبراء السوفييت خلال الحرب نسبة إلى عددهم الكبير ، وقد ذكر أن مواطن سوفيتي قتل خلال الغارة "الإسرائيلية" على دمشق في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) بعد أن تعرض المركز الثقافي السوفييتي للتدمير[١٦٤] ، غير أن مدير المركز حكيموف ذكر أن عدد القتلى بلغ الستة .وبعد الحرب وفي تموز ١٩٧٤ كشف وزير الدفاع "الإسرائيلي" آنذاك شيمون بيريز أن ضباطاً سوفييت من رتب عالية قد قتلوا في معارك الجولان خلال الحرب[١٦٥] .

الخاتمة :

إن الوقائع التاريخية تؤكد أن الاتحاد السوفيتي لم يكن راغباً في نشوب حرب أكتوبر ، ولكنها حين اندلعت وقف السوفييت بكل وجدانهم مع العرب ونجحوا في منع حدوث هزيمة كبيرة للعرب ، من ناحية ، وتحاشي المواجهة المباشرة بين القوات السوفيتية والأمريكية من ناحية أخرى .

لقد كان الاتحاد السوفيتي حذراً ومراعياً لرد الفعل الأمريكي طوال النزاع ، وهناك دلائل عديدة على أن الكرملين كان يرغب في محاصرة النزاع وتفادي المواجهة الشاملة مع واشنطن ، غير أن ذلك لا يعني أن تهديد بريجنييف كان للدعاية فحسب ، فأن بعض المراقبين قللوا من قيمته مقارنة بالتهديدات السابقة في حرب السويس وحرب حزيران والتي كانت غير جادة بالفعل ، أما تهديد بريجنييف فقد وصل إلى البيت الأبيض واحتمالات المواجهة قائمة ، والقوات السوفيتية جاهزة للتحرك ، لقد كان تهديداً صادقاً استخدم كأداة للضغط الدبلوماسي.

لكن من المؤكد أن حالة التأهب القصوى التي أعلنها الاتحاد السوفيتي لم تكن تستهدف مصالح العرب بالدرجة الأولى ، فقد كانت مبادرة الاتحاد السوفيتي بإرسال قوات إلى الشرق الأوسط تهدف إلى الحد من قوة الاندفاع الإسرائيلي خلف الجيش الثالث المصري وما يمكن أن يسفر عنه من هزيمة مصر أو هزيمة سوريا . وفي خسارة حلفاء العرب خسارة للسلاح السوفيتي أمام السلاح الأمريكي وبالتالي خسارة الاتحاد السوفيتي لمكانته ونفوذه في البلاد العربية في حالة وقوفه موقف المتفرج .لذلك أراد أن يدعم نفوذه من خلال إعلانه عن عزمه على إرسال قواته إلى الشرق الأوسط .

وأخيرا فان الموقف السوفييتي القوي الذي تبلور في استصدار قرار مجلس الأمن بسرعة بناء على الطلب المصري ، ثم الموقف الحاسم يومي ٢٣ و ٢٤ أكتوبر يكشف صلابة الموقف السوفييتي واستجابته الأمينة مع حلفائه وقت الأزمات. وهذا الأمر من المهم معرفته ، لأنه كان شائعا وقت الحرب أن السوفييت تقاعسوا عن نجدة العرب . والمتتبع يرى عكس ذلك تماما . موقف القيادة السوفييتية كان قويا في دعمه للعرب ، ولعل هذا يوجه الأنظار في الوقت الحالي لمراجعة العلاقات العربية

الروسية من جديد خاصة بعد أن بدأت روسيا تستعيد دورها الدولي تدريجيا

قائمة المصادر

(١) للمزيد من التفاصيل حول الاستراتيجيات التي باشرها العرب خلال هذه الفترة . ينظر : مذكرات محمد عبد الغني الجمسي ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨) ، ص ٢٥٣ – ٢٥٩ .
(٢) مركز الإعلام الفلسطيني ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، مقتبس من شبكة الانترنت ، بدون أرقام صفحات ، الموقع : www.palestine-info.info/ar
(٣) المصدر نفسه .
(٤) خالد بن سلطان بن عبد العزيز ، موسوعة مقاتل من الصحراء ، حرب أكتوبر من وجهة النظر السورية ، مقتبس من شبكة الانترنت ، بدون أرقام صفحات ، الموقع : www.moqatel.com
(٥) باتريك سيل ، الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط ، ط٩ (بيروت ، ٢٠٠٤) ، ص٣٤٠ .
(٦) خالد بن سلطان بن عبد العزيز ، موسوعة مقاتل من الصحراء ، حرب أكتوبر من وجهة النظر المصرية ، مقتبس من شبكة الانترنت ، بدون أرقام صفحات ، الموقع : www.moqatel.com
(٧) للمزيد من التفاصيل ينظر : مذكرات محمد عبد الغني الجمسي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٢ – ٤٣٠ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٤٣٠ .
(٩) قاسم محمد جعفر ، سورية والاتحاد السوفيتي ، دراسة في العلاقات العربية السوفيتية ، سلسلة قضايا راهنة ، (رياض الريس ، لندن ، د.ت) ،، ص ٢٥- ٢٦ .
(١٠) جورج شكري كتن ، العلاقات الروسية – العربية في القرن العشرين وآفاقها ، دراسات إستراتيجية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، العدد ٥٣ ، ص٣٥ – ٣٦ .
(١١) فرد هاليداي ، السياسة السوفياتية في قوس الأزمة ، ترجمة عفيف الرزاز ، (مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، د. ت) ، ص٨٠ .
(١٢) بروس بورتر ، أنياب الكرملين ، دور السوفييت في حروب العالم الثالث ،ترجمة : الفاتح التيجاني ، ط١ ، (دار هاي لايت ، لندن ، ١٩٨٥) ، ص١١٩ .
(١٣) ميشيل كونفيلو وشمعون شامير ، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ، (د.ن ، د.م ، ١٩٧٧) ، ص ١٧٣ .
(١٤) إسماعيل صبري مقلد ، الصراع الأمريكي – السوفيتي حول الشرق الأوسط ، الإبعاد الإقليمية والدولية ، (دار السلاسل ، الكويت ،١٩٨٦) ، ص ٤٠ .
(١٥) ميشيل كونفيلو وشمعون شامير ، المصدر السابق ، ص١٧٤ .
(١٦) إسماعيل صبري مقلد ، المصدر السابق ، ص٤٠ .
(١٧) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١١٩ .
(١٨) قاسم محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص٢٠ .
(١٩) ميشيل كونفيلو وشمعون شامير ، المصدر السابق ، ص ١١٠ – ١١١ .
(٢٠) قاسم محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٨ – ٢٩ .
(٢١) ميشيل كونفيلو وشمعون شامير ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٢٢) غازي ربابعة ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصراع في الشرق الأوسط ١٩٦٧ – ١٩٨٧ ، ط١ ، (دار الفكر ، ١٩٨٩) ، ص ١١٩ .
(٢٣) ميشيل كونفيلو وشمعون شامير ، المصدر السابق ، ص١١٠ .
(٢٤) قاسم محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
(٢٥) غازي ربابعة ، المصدر السابق ، ص١١٩ .
(٢٦) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٢٧) فرد هاليداي ، المصدر السابق ، ص٨٠ .
(٢٨) هلين كارير دانكوس ، السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط ١٩٥٥ – ١٩٧٥ ، ترجمة : عبدا لله اسكندر ، ط١ ، (دار الكلمة ، ١٩٨١) ، ص١٧٣ .
(٢٩) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٠ .
(٣٠) مذكرات أنور السادات ، البحث عن الذات ، قصة حياتي ، (القاهرة ، د. ت) ، ص ٣٢٣ .
(٣١) باتريك سيل ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨
(٣٢) قناة الجزيرة الفضائية ، نذر العاصفة من ملف حرب أكتوبر ، برنامج أرشيفهم وتاريخنا ، ج١ ، مقتبس من شبكة الانترنت www.aljazeera.net
(٣٣) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ .
(٣٤) إسماعيل صبري مقلد ، المصدر السابق ،ص ٣٥٣ .
(٣٥) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٣٦) مذكرات انور السادات ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
(٣٧) باتريك سيل ، المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
(٣٨) قناة الجزيرة الفضائية ، نذر العاصفة من ملف حرب أكتوبر ، برنامج أرشيفهم وتاريخنا ، ج٢ ، مقتبس من شبكة الانترنت www.aljazeera.net
(٣٩) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ١٢٣ .
(٤٠) مذكرات أنور السادات ، المصدر السابق ، ص٣٣١ ؛ مذكرات فلاديمير فينوغرادوف ، مصر في زمن الإبهام ، ترجمة : زكريا لبيب خوري ، ط١ ، (دمشق ، ٢٠٠٠) ، ص ٧٤ .
(٤١) مذكرات أنور السادات ، المصدر السابق ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ . ويسجل الشاذلي في مذكراته قائلا : كما أخفينا عن الروس نوايانا في الهجوم . فقد أخفينا عنهم المعلومات التفصيلية كلها خلال سير العمليات ، لم نكن نخطرهم مطلقاً بما ننوي عمله في الأيام المقبلة ، ولم نكن نخطرهم بنتائج المعارك الماضية ". ويعتبر الشاذلي ذلك خطراً جسيماً ؛ لان الحليف على حد قول الشاذلي لا يستطيع أن يقدم يد العون إلى حليفه إذا لم يكن يعرف حقيقة موقفه .ينظر : مذكرات سعد الدين الشاذلي ، حرب أكتوبر ، ط١ ، (مؤسسة الوطن العربي ، باريس ، ١٩٨٠) ، ص ١٦٨.
(٤٢) مذكرات فلاديمير فينوغرادوف ، المصدرالسابق ، ص ٧٦ .
(٤٣) محمد حسنين هيكل ، حكاية العرب والسوفييت ، (الكويت ، د.ت) ، ص١٩١ .
(٤٤) مذكرات سعد الدين الشاذلي ، المصدر السابق ، ص١٦٧
(٤٥) محمد حسنين هيكل ، المصدر السابق ، ص ١٩١ .
(٤٦) بروس بورتر ، المصدر السابق ،ص ١٢٤ .
(٤٧) مذكرات فلاديمير فينوغرادوف ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
(٤٨) مذكرات أنور السادات ، المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .
(٤٩) مذكرات سعد الدين الشاذلي ، المصدر السابق ، ص١٦٧
(٥٠) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، ط١ ، (مركز الأهرام ، القاهرة ، د. ت) ، ص ٣١٤.
(٥١) مذكرات سعد الدين الشاذلي ، المصدر السابق ، ص١٦٧ – ١٦٨ .

(٥٢) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٤ .
(٥٣) أنور السادات ، في ذكرى العاشر من رمضان ، الاتحاد السوفيتي يختفي وراء مسرحيات البعث ،(القاهرة ،د.ت) ، ص٢٢ .
(٥٤) محمد حسنين هيكل ،حكاية العرب والسوفييت ، المصدر السابق ، ص١٩١ .
(٥٥) أنور السادات ، في ذكرى العاشر من رمضان ، المصدر السابق ، ص٢٢ .
(٥٦) عبد العظيم رمضان ، حرب أكتوبر في محكمة التاريخ ، (القاهرة ، د. ت) ، ص١١٥ .
(٥٧) أنور السادات ، في ذكرى العاشر من رمضان ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .
(٥٨) باتريك سيل ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ ؛ عبد العظيم رمضان ، المصدر السابق ، ص١١٥ – ١١٦ .
(٥٩) مذكرات أنور السادات ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .
(٦٠) باتريك سيل ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣ .
(٦١) محمد حسنين هيكل ، الطريق إلى رمضان ، ترجمة : يوسف الصباغ ، (دار النهار ، بيروت ، ١٩٧٥) ، ص ١٨٩ .
(٦٢) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ -١٢٦ .
(٦٣) للاطلاع على نص البيان . ينظر: اسكندر احمد وف ، الاتحاد السوفيتي والعالم العربي ، مجموعة من الوثائق السياسية ، ترجمة : خيري الضامن ،(دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٨)، ص
(٦٤) محمد حسنين هيكل ، الطريق إلى رمضان ، المصدر السابق ، ص١٩٣ .
(٦٥) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، ص٤٠٥ .
(٦٦) محمد حسنين هيكل ، الطريق إلى رمضان ،المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
(٦٧) محمد عبد الغني الجمسي ، المصدر السابق ،ص٣٧٤ .
(٦٨) محمد حسنين هيكل ، الطريق الى رمضان ، المصدر السابق ، ص١٩٥ – ١٩٦ .
(٦٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .
(٧٠) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، ص٣٩٢ - ٣٩٣ .
(٧١) محمد حسنين هيكل ، الطريق إلى رمضان ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .
(٧٢) مذكرات فلاديمير فينوغرادوف ، المصدر السابق ، ص٨٥ .
(٧٣) مذكرات انور السادات ، المصدر السابق ، ص٣٤٥ .
(٧٤) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص١٧٥ .
(٧٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .
(٧٦) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٦ .
(٧٧) محمد حسنين هيكل ، اكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ٤٧٦.
(٧٨) المصدر نفسه ، ص٤٧٧.
79) Karen Dawisha , Soviwt foreign policy (towards Egypt ,(press ltd, London , 1979) ,p.67
(٨٠) بروس بورتر ، المصدر السابق ،ص .١٢٦
(81) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Message from Soviet Government to Nixon and Kissinger, 6 October 1973, NO : 14 .
: ، الموقع مقتبس من شبكة الانترنت

www.gwu.edu/~nsarchiv/NSAEBB/NSAEBB98/index.htm
(٨٢) عبد الحليم خدام ، النظام العربي المعاصر ، قراءة الواقع واستشفاف المستقبل ،بدون أرقام صفحات ، مقتبس من شبكة الانترنت ، الموقع :
www.free-syria.com/
(٨٣) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٦.
(٨٤) جان النشتاين ، الصراع على العالم ١٩٥٠ – ١٩٨٨ ، العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السلام البارد ، ترجمة: موسى الزعبي ،ط١ (دمشق ، ١٩٩١) ، ص٤٢٧ .
(٨٥) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص١٧٤.
(٨٦) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٦
(٨٧) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، ترجمة : خليل فريحات ، ط٥ ، ج٤ (دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٩)، ص٣٠٤ – ٣٠٥ .
(88) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Phone call between Dobrynin/Kissinger , 10 October 1973 , N0:25 .
(٨٩) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ و ٣٥٠ .
(٩٠) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ ، المصدر السابق ، ص٤١٦ – ٤١٧ .
(٩١) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، المصدر السابق ، ص ٣٥٧ .
(٩٢) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .
(٩٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣٦ .
(٩٤) غازي ربابعة ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
(٩٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٧.
(٩٦) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص٤٦٦ .
(٩٧) مذكرات أنور السادات ، المصدر السابق ، ص٣٤٤
(٩٨) يفغيني بريماكوف ، الشرق الأوسط المعلوم والمخفي ، ترجمة: علي العرب وعبد السلام شهباز ،ط١ ، (دار اسكندرون ، دمشق ، ٢٠٠٦) ، ص١٦٩ .
(٩٩) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، المصدر السابق ، ص٣٨٥ - ٣٨٦ .
(١٠٠) المصدر نفسه ، ص٤٢٠.
(١٠١) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص ٤٩١ .
(102) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Messages from Brezhnev to Nixon, 19 October 1973, NO: 41
(١٠٣) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٣٢ .
(104) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Memcon between Brezhnev and Kissinger, 20 October 1973, NO: 46
(105) Ibid
(١٠٦) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص ٥٢٠ .
(١٠٧) جان النشتاين ، المصدر السابق ، ص٤٢٨ .
(١٠٨) سعد الدين إبراهيم ، كيسنجر وصراع الشرق الأوسط ، (دار قباء ، القاهرة ، د. ت) ، ص ٩٦ .

ISSN 1995-8463

(١٠٩) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٦.
(١١٠) ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .
(١١١) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٣٣ .
(١١٢) للحصول على موافقة سوريا ، ذُكر أن السفير السوفييتي أمر باخرة شحن بالابتعاد عن ميناء اللاذقية قبل أن تفرغ حمولتها كما أمر بإيقاف جميع الإمدادات الجوية ما عدا الأسلحة الخفيفة والذخيرة . وذكر أيضاً انه هدد بترحيل الخبراء السوفييت الذين كانوا يساعدون في إصلاح صواريخ سام وإعادة استخدامها . ينظر : بيتر مانغولد ، تدخل الدول العظمى في الشرق الأوسط ، ترجمة : أديب يوسف شيش، ط١ ، (دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٥) ، ص ٣٤١ – ٣٤٢.
(113) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Hotline Messages from Brezhnev to Nixon, 23 October 1973 ,N0:61
(١١٤) يفغيني بريماكوف ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .
(١١٥) مذكرات محمود رياض ١٩٤٨ – ١٩٧٨ ، البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط ، ط٢ (المؤسسة العربية للدراسات ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٤١ – ٤٤٢ .
(١١٦) للاطلاع على نص البيان . ينظر : اسكندر احمد وف ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(١١٧) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص ٥٥٢ – ٥٥٣ .
(118) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Messages from Brezhnev to Nixon, 24 October 1973 ,N0:65
(١١٩) مذكرات محمود رياض ، المصدر السابق ، ص٤٤٢ ؛ جان النشتاين ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .
(١٢٠) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، المصدر السابق ، ص ٤٨٦ .
(١٢١) ويليام كوانت ، أمريكا والعرب وإسرائيل ،عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧ – ١٩٧٦ ، ترجمة : عبد العظيم حماد ، (دار المعارف ، القاهرة ، د. ت)، ص ٢٧٩ .
(١٢٢) محمد حسنين هيكل ، اكتوبر٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص ٥٥٦ .
(١٢٣) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .
(١٢٤) مذكرات محمود رياض ، المصدر السابق ، ص ٤٤٢ .
ويروي كيسنجر في مذكراته عن سبب رفض الإدارة الأمريكية إرسال قوات أمريكية سوفيتية إلى المنطقة قائلا : " لم نكن على استعداد لإرسال فرق أمريكية إلى مصر ، ولا القبول بإرسال مثلها من قبل موسكو . لأننا لم نعمل طوال سنوات عدة لتقليص التواجد العسكري السوفيتي في مصر ، حتى نأتي ألان ونسهم في إدخالها مجددا عن طريق قرار تتخذه الأمم المتحدة .....وسيصبح مستحيلاً علينا مستقبلاً زحزحة القوات السوفيتية ، التي ستجد ذرائع كثيرة لتتخذ نقطة ارتكاز لها ضد حكومة إسرائيل ، وحتى الحكومات العربية المعتدلة " . ينظر : مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، المصدر السابق ، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .
(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٩١ و ٥٠٠ .
(١٢٦) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ،ص ٥٥٨ .
(١٢٧) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٣٣ .
(١٢٨) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٧.
(١٢٩) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .
(130) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Message from Brezhnev to Nixon, 24 October 1973, NO : 71
(١٣١) ويليام كوانت ، المصدر السابق ، ص٢٧٩ .
(١٣٢) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ – ١٧٩.
(١٣٣) ويليام كوانت ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .
(١٣٤) زئيف شيف ، زلزال في أكتوبر ، ترجمة : جواد سليمان الجعبري ، ط١ ، (القدس ، ١٩٧٥) ، ص ٣٣٧ .
(١٣٥) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص٥٦١ .
(١٣٦) ويليام كوانت ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .
137) Karen Dawisha , op . cit , p . 68 - 69(
(138) Ibid ,p . 68
(١٣٩) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص٥٦٣ .
(١٤٠) ويليام كوانت ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ .
(141) Document from The National Securite Archive , The October War and U.S. Policy , Message from Nixon to Brezhnev, 25 October 1973,NO73
(١٤٢) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، المصدر السابق ، ص٥١٣ .
(١٤٣) محمد حسنين هيكل ، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة ، المصدر السابق ، ص ٥٦٥ – ٥٦٦ .
(١٤٤) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض ، المصدر السابق ، ص ٥١٣.
(١٤٥) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٨
(١٤٦) جان النشتاين ، المصدر السابق ، ص٤٣٠ ؛ سعد الدين إبراهيم ، المصدر السابق ، ص٩٨ .
(١٤٧) ينظر : يفغيني بريماكوف ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .
(١٤٨) هلين كارير دانكوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
(١٤٩) ويليام كوانت ، المصدر السابق ،ص٢٨١ ؛ بيتر مانغولد ، المصدر السابق ، ص٣٤٣.
(١٥٠) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٣٥.
(١٥١) المصدر نفسه ، ص١٢٩ .
(١٥٢) اقصى حمولة للطائرة انتنوف ١٢ هي ٢٠ طن وانتنوف ٢٢ هي ٨٠ . ينظر : مذكرات سعد الدين الشاذلي ، المصدر السابق ، ص١٧١
(١٥٣) بيتر مانغولد ، المصدر السابق ، ص٣٣٧ .
(١٥٤) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
(١٥٥) مذكرات سعد الدين الشاذلي ، المصدر السابق ، ص١٧٢
(١٥٦) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٩.
(١٥٧) بيتر مانغولد ، المصدر السابق ، ص٣٣٧ .
(١٥٨) للاطلاع على نص البيان . ينظر : اسكندر احمدوف ، المصدر السابق ، ص١٥٥ – ١٥٧ .
(١٥٩) زئيف شيف ، المصدر السابق ، ص١٥٣ .
(١٦٠) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص١٢٩ .
(١٦١) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .
(١٦٢) بيتر مانغولد ، المصدر السابق ، ٣٣٨ .
(١٦٣) زئيف شيف ، المصدر السابق ، ص٢٨٨
(١٦٤) غازي ربابعة ، المصدر السابق ، ص١٢٥ .
(١٦٥) بروس بورتر ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .